زوائد المؤلفات على
كتب المنهج الدراسي

رسالة شرعية عالمية
معهد المنهج الدراسي الميسر
من المستوى الأول إلى الثاني عشر

المُنْتَقَى

مِن

كِتابِ النَّهي عن البِدَعِ

لابن وضاح الأندلسي
رحمه الله تعالى (ت ٢٨٧ هـ)

تأليف

أبي عبد الله محمد المصنعي

وفقه الله تعالى



زوائد المؤلفات على
كتب المنهج الدراسي الميسر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المُنْتَقي

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، والطول والإنعام، الكريم المنان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أما بعد:

فإن العناية بكتب أصول السنة التي كتبها سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم - شأنه عظيم، وشرفٌ للمعتني بها كبير، سواء كان ذلك بإخراج المخطوطات أو ضبط النص، أو الحكم على الأحاديث والآثار صحة وضعفاً.

وإن مما مَنَّ الله تعالى به عليَّ أن قمت بانتقاء ما صح من الأحاديث والآثار- دون الضعيف- من مجموعة من كتب السلف[1] وجردتها من أسانيدها، رغبة في الاختصار، ومن أراد الوقوف عليها رجع إلى الأصول، فهي مطبوعة متداولة.

وعملي هذا رغبة في تقديم الكتاب نقياً من الضعيف لمن أراد حفظه أو الاستفادة منه، مع الاطمئنان لصحة أحاديثه وآثاره.

ولم يزل السلف يختصرون بعض الكتب ولم يعد ذلك نقصاً في الأصل، ولا إساءة إليه، والمختصرات في ذلك كثيرة جداً، والله الموفق.

وقد اعتمدت على ترقيم (طبعة مكتبة ابن تيمية)، واستفدت من تحقيق الشيخ بدر البدر (طبعة دار الصميعي). واللهَ تعالى أسأل التوفيق والسداد وحسن الختام.

كتبه / أبو عبد الله المصنعي

اليمن - دار الحديث معبر ١٤٣٠ هـ

****

(١) ومنها أصول السنة لابن أبي زمنين، وشرح السنة للالكائي، والسنة لمحمد بن نصر وغيرها.

ترجمة ابن وضاح رحمه الله تعالى

۞ اسمه:

محمد بن وضاح بن بُزيغ المرواني مولاهم، الأندلسي، يكنى أبو عبد الله.

ولد عام (١٩٩هـ) ورحل من الأندلس إلى المشرق مرتين، الأولى عام (٢١٨هـ) ثم رحل مرة أخرى بعد ذلك.

۞ مشايخه:

لقي جماعة كبيرة من الأئمة، منهم: أبو الطاهر المصري، وإبراهيم الفريابي، وحمزة المرزي، وأبو بشر الأزدي، وأبو بكر بن أبي شيبة، وموسى بن معاوية الإفريقي، ويحيى بن يحيى الليثي، وغيرهم كثير.

۞ تلامذته:

وهم كثير، ومنهم: أحمد بن خالد الخباب، وقاسم بن أصبغ، ومحمد بن المسور، ومحمد بن أيمن، وخَلْق سواهم.

۞ عقيدته:

اشتهر ابن وضاح بالسنة والحث عليها، والشدة على أهل الأهواء، وكتابه هذا ظاهر في ذلك.

۞ ثناء العلماء عليه:

قال الحافظ ابن الفرضي رحمه الله تعالى: «كان محمد بن وضاح عالماً بالحديث، بصيراً بطرقه، ورعاً، زاهداً، فقيراً متعففاً، صابراً على الإسماع، محتسباً في نشر علمه، سمع منه الناس كثيراً، ونفع الله به أهل الأندلس».

وقال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى: «الإمام الحافظ محدث الأندلس».

وقال ابن العماد رحمه الله تعالى: «الحافظ الإمام محدث قرطبة، وكان فقيراً زاهداً قانتاً لله، بصيراً بعلل الحديث».

وفاته:

توفي عام (٢٨٧هـ) بقرطبة، ودفن بمقبرة أم سلمة.

انظر: «تاريخ علماء الأندلس» لابن الفرضي (٢/ ١٧)، «السير» (١٣/ ٤٤٥).



تمهيد

الحث على التمسك بالكتاب والسنة

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [سورة الأنعام:١٥٣]، ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [سورة آل عمران:١٠٣]، ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [سورة الأعراف:٣].

وعن العرباض بن سارية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون. فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع فأوصنا. قال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمّر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»، رواه أبو داود (٤٦٠٧) وأحمد (٤/ ١٢٦) وغيرهما، وسنده حسن.

وقال الأوزاعي **رحمه الله** تعالى: «اصْبِرْ نَفْسَكَ عَلَى السُّنَّةِ، وَاسْلُكْ سَبِيلَ سَلَفِكَ الصَّالِحِ، فَإِنَّهُ يَسَعُكَ مَا يَسَعُهُمْ»، رواه اللالكائي (١/ رقم ١٢٧).

وقال الشافعي **رحمه الله** تعالى: «أَجْمَعَ النَّاسُ عَلَى أَنَّ مَنِ اسْتَبَانَتْ لَهُ سُنَّةٌ رَسُولِ الله ﷺ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَنْ يَدَعَهَا لِقَوْلِ أَحَدٍ». انظر «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٢).

واعلم أن أساس التمسك بالكتاب والسنة أمور:

الأول: الاهتمام بالتوحيد ونبذ الشرك ومحاربته.

الثاني: الاهتمام بالعلم وتعليمه، ومحو الجهل والتحذير منه.

الثالث: الاهتمام بالسنة النبوية ونبذ البدعة والتحذير منها.

الرابع: الدعوة إلى ذلك كله والصبر عليه.

والله المستعان!

****

كمال الدين وغِناه عن المحدَثات

قال الله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة:٣].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «هَذِهِ أَكْبَرُ نِعَمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ، حَيْثُ أَكْمَلَ تَعَالَى لَهُمْ دِينَهُمْ، فَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى دِينِ غَيْرِهِ، وَلَا إِلَى نَبِيٍّ غَيْرِ نَبِيِّهِمْ، صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ». اهـ

وقال ابن الماجشون رحمه الله تعالى: « سَمِعْتُ مَالِكًا يَقُولُ: مَنِ ابْتَدَعَ فِي الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ خَانَ الرِّسَالَةَ، لأَنَّ اللهَ يَقُولُ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [سورة المائدة:٣]، فَمَا لَمْ يَكُنْ يومئذٍ دِينًا، فلا يكون اليوم ديناً». «الاعتصام» (١/ ٤٩)، وهو صحيح.

وقال المنبجي رحمه الله تعالى: «وبالجملة فعلى المؤمن أن يعلم أن النبي ﷺ لم يترك شيئاً يقرِّب إلى الجنة إلا وحدَّث به، ولا شيئاً يبعد عن النار إلا وقد حدث به».

«رسالة السماع» (ص ٣٨).

وقد ورد عند أحمد في حديث العرباض السابق: «تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَا يَزِيغُ عَنْهَا إِلَّا هَالِكٌ»، والأدلة والآثار في الباب كثيرة سيأتي بعضها في الكتاب.



تعريف البدعة

البدعة في اللغة: مأخوذة من البَدْع، وهو الاختراع على غير مثال سابق، ومنه قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سورة البقرة:١١٧]، أي: خالقها على غير مثال سابق.

والابتداع على قسمين:

١) ابتداع في العادات، كابتداع المخترعات الحديثة، وهذا مباح؛ لأن الأصل في العادات الإباحة.

٢) ابتداع في الدين، وهذا محرم، لأن الدين كامل، والأصل فيه التوقف.

والبدعة في الدين هي: عبادة محدثة.

وعرفها بعض العلماء: هي التعبُّد لله تعالى بما لم يشرع.

وقال آخر: هي طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة، يُقصد بها التعبد لله سبحانه.

وكلها متقاربة، والله الموفق.

- وهي قسمان:

١- بدعة إضافية، وهي ما أُحدث في العبادات الشرعية من زيادة أو نقص بقصد التعبد.

مثال: رفع الصوت بالذكر بعد الصلاة، والتسبيح بالحصى، فالذكر بعد الصلاة مشروع، وهذه الزيادة -وهي رفع الصوت- بدعة.

٢- بدعة أصلية (أو حقيقية): وهي ما أُحدث من العبادات ونحوها وليس له أصل في الدين.

مثال: بدعة الاعتزال، بدعة التصوف، بدعة المولد...

وتنقسم البدعة إلى:

١- بدعة في الاعتقاد، كبدعة التعطيل والتحزب والتصوف والرفض...

٢- بدعة في العبادات، كبدعة المولد، ورفع الصوت بالذكر بعد الجنازة...

وكلها ضلالة.

راجع «عقيدة التوحيد» (ص ٢١٥-٢١٦)، وكتاب «البدعة وضوابطها» للفقيهي وغيرها. وقد بسطنا الكلام على ذلك في شرح القول المفيد – الكبير.



ذم البدع وأهلها وبيان أن كل بدعة ضلالة

فيما سبق من الأدلة وفيما سيذكره المؤلف أدلة كثيرة على ذم البدع وأهلها والتحذير منها والبراءة من البدع كلها، فكل محدثة بدعة ضلالة.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»، متفق عليه، (خ ٢٥٥٠)، (م ١٧١٨).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»، (م ٢٦٧٤).

وأهل البدع داخلون في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ**﴾ [سورة الأنعام:١٥٩].

ومن الضلال المبين أن يقال: هناك بدعة حسنة بعد قول الرسول ﷺ: «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ»، وهذا أصل في ذم جميع البدع.

وفقد اتفق على هذا الأصل الصحابة رضي الله عنهم وأتباعهم بإحسان ومن اقتفى أثرهم من علماء الإسلام.

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَإِنْ رَآهَا النَّاسُ حَسَنَةً»، رواه البيهقي في «المدخل» (١٩١)، وسنده صحيح، وسيأتي شرحه عند قول المؤلف: (كل بدعة ضلالة).



من ضوابط الرمي بالبدعة

الحكم على الشيء بالبدعة يحتاج إلى علم بالشريعة ومعرفة بضابط البدعة وحدِّها، وإلا كان من القول بلا علم وهو محرم عظيم.

فمن الضوابط:

- معرفة أصول البدع والمحدثات والمقالات...

- التفريق بين البدعة الكبرى المكفرة والبدعة غير المكفرة.

- التفريق بين الغالي والداعي إلى البدعة وبين غيرهم.

- ويجمع ذلك مقالة لشيخ الإسلام رحمه الله تعالى، قال: «وَالْبِدْعَةُ الَّتِي يُعَدُّ بِهَا الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ مَا اشْتَهَرَ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالسُّنَّةِ مُخَالَفَتُهَا لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ: كَبِدْعَةِ الْخَوَارِجِ، وَالرَّوَافِضِ، وَالْقَدَرِيَّةِ، وَالْمُرْجِئَةِ...»، «الفتاوى» (٣٥/ ٤١٤)، وانظر (٣/ ٣٤٨).

وراجع كتاب «ضوابط في الرمي بالبدعة» وكتاب «دعوة أهل البدع» ورسالتنا «علامات أهل البدع والأهواء».

هذه نبذة مختصرة قدَّمتها بين يدي الكتاب لتكون ممهدة للشروع في شرحه، والله الموفق إلى سواء السبيل، وهو حسبي ونعم الوكيل.



شرح
النهي عن البدع
لابن وضاح

قال رحمه الله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم(١)، وبه نستعين(٢)

باب اتقاء البدع(٣)

(١) ٧- قال محمد بن وضاح عن غير واحد: أن أسد بن موسى كتب إلى أسد بن الفرات(٤):

---

(١) ابتدأ المؤلف رسالته بالبسملة اقتداءً بكتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وهذه سنة متبعة لدى أكثر المؤلفين، وأجمع أهل العلم على استحبابها.

وانظر لشرح البسملة وبيان معانيها مقدمة شرح الواسطية للعلامة ابن عثيمين.

(٢) الاستعانة: طلب العون من الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة:٥].

وانظر للفائدة «شرح الأصول الثلاثة» للعلامة ابن عثيمين، عند الكلام على الاستعانة.

(٣) أورد المؤلف هذا الباب لبيان مشروعية رد البدع والتحذير منها، والوقاية منها، والأدلة على ذلك كثيرة من كتاب الله تعالى ومن سنة النبي صلى الله عليه وسلم، كما سبق بيانه في مقدمة الكتاب.

وأجمع السلف على رد البدع والتحذير منها كما سيأتي بسطه في باب: النهي عن الجلوس مع أهل البدع...

تنبيه: لم يذكر المؤلف شيئاً صحيحاً من الأحاديث والآثار، وأثر أسد بن موسى فيه جهالة في سنده، إلا أن هذه الجهالة يرجى أن تنجبر، لأنهم أكثر من واحد، وقد حسن الألباني أحاديث بمثل هذا الإسناد، ولا سيما والأمر أهون بالنسبة للآثار.

انظر «الصحيحة» (٤/ ١٦٠)، (٧/ ٣٦٧)، وقد حذفت من الأثر الأحاديث الضعيفة.

(٤) وهو أبو عبد الله الحراني ثم المغربي الإمام، العلامة، القاضي، الأمير، مقدم المجاهدين، (١٤٤- ٢١٣)، وكان مع توسعه في العلم فارسًا، بطلًا، شجاعًا، مقدامًا، زحف إليه صاحب صقلية في مائة ألف وخمسين ألفًا. قال رجل: فلقد رأيت أسدًا وبيده اللواء يقرأ سورة يس، ثم حمل بالجيش، فهزم العدو، ورأيت الدم، وقد سال على قناة اللواء وعلى ذراعه.

اعْلَمْ يَا أَخِي، إِنَّمَا حَمَلَنِي عَلَى الْكِتَابِ إِلَيْكَ مَا ذَكَرَ أَهْلُ بِلَادِكَ(١) مِنْ صَالِحِ مَا أَعْطَاكَ اللهُ مِنْ إِنْصَافِكَ النَّاسَ وَحُسْنِ حَالِكَ مِمَّا أَظْهَرْتَ مِنَ السُّنَّةِ، وَعَيْبِكَ لِأَهْلِ الْبِدَعِ(٢)، وَكَثْرَةِ ذِكْرِكَ لَهُمْ، وَطَعْنِكَ عَلَيْهِمْ، فَقَمَعَهُمُ(٣) اللهُ بِكَ، وَشَدَّ بِكَ ظَهْرَ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَقَوَّاكَ عَلَيْهِمْ بِإِظْهَارِ عَيْبِهِمْ وَالطَّعْنِ عَلَيْهِمْ، فَأَذَلَّهُمُ اللهُ بِذَلِكَ، وَصَارُوا بِبِدْعَتِهِمْ مستورين(٤)، فَأَبْشِرْ أَيْ أَخِي بِثَوَابِ ذَلِكَ، وَاعْتَدَّ بِهِ أَفْضَلَ حَسَنَاتِكَ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ وَالحَجِّ وَالْجِهَادِ، وَأَيْنَ تَقَعُ هَذِهِ الْأَعْمَالُ مِنْ إِقَامَةِ كِتَابِ اللهِ وَإِحْيَاءِ سُنَّةِ رَسُولِهِ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُول اللهِ ﷺ: «أَيُّمَا دَاعٍ دَعَا إِلَى هَذَا فَاتُّبِعَ عَلَيْهِ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ تَبِعَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(٥)، فَمَنْ يُدْرِكُ أَجْرَ هَذَا بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ؟

فَاغْتَنِمْ يَا أَخِي هَذَا الْفَضْلَ، وَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ... وَادْعُ إِلَى السُّنَّةِ حَتَّى يَكُونَ لَكَ فِي ذَلِكَ أُلْفَةٌ وَجَمَاعَةٌ(٦) يَقُومُونَ مَقَامَكَ إِنْ حَدَثَ بِكَ حَدَثٌ(٧)؛ فَيَكُونُونَ أَئِمَّةً بَعْدَكَ، لَكَ ثَوَابُ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَمَا جَاءَ الْأَثَرُ، فَاعْمَلْ عَلَى بَصِيرَةٍ وَنِيَّةٍ وَحِسْبَةٍ(٨)؛ فَيَرُدَّ اللهُ بِكَ الْمُبْتَدِعَ الْمَفْتُونَ الزَّائِغَ الْحَائِرَ، فَتَكُونَ خَلَفًا مِنْ نَبِيِّكَ ﷺ.

---

(١) يريد طلبة العلم وغيرهم الذين قدموا عليه من بلاد أسد بن الفرات.

(٢) أي: التحذير منهم ومن بدعهم وتنفير الناس عنهم.

(٣) (قمعهم) أذلهم وكسر شوكتهم.

(٤) (مستورين) أي: مختفين لا يجرؤون على إظهار بدعهم أو الدعوة إليها.

(٥) روى مسلم (٢٦٧٤) نحوه، فهو صحيح لذلك عن أبي هريرة، وقد سبق في المقدمة.

(٦) (ألفة) مَن يألفك ويلتف حولك، (وجماعة) أنصار يجتمعون معك على الحق والنصرة.

(٧) يعني: الموت.

(٨) (حسبة) من الاحتساب للأجر والثواب.

فأحي كتاب الله وسنة رسوله، فَإِنَّكَ لَنْ تَلْقَى اللهَ بِعَمَلٍ يُشْبِهُهُ، وَإِيَّاكَ أَنْ يَكُونَ لَكَ مِنْ أَهْلِ الْبِدَعِ أَخٌ، أَوْ جَلِيسٌ، أَوْ صَاحِبٌ؛ فَإِنَّهُ جَاءَ الْأَثَرُ: «مَنْ مَشَى إِلَى صَاحِبِ بِدْعَةٍ مَشَى فِي هَدْمِ الْإِسْلَامِ»(١)، «مَنْ جَالَسَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ نُزِعَتْ مِنْهُ الْعِصْمَةُ، وَوُكِلَ إِلَى نَفْسِهِ»(٢)، وَقَدْ وَقَعَتِ اللَّعْنَةُ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَى أَهْلِ الْبِدَعِ(٣)، وَأَنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ مِنْهُمْ صَرْفًا، وَلَا عَدْلًا، وَلَا فَرِيضَةً، وَلَا تَطَوُّعًا، وَكُلَّمَا ازْدَادُوا اجْتِهَادًا وَصَوْمًا وَصَلَاةً ازْدَادُوا مِنَ اللهِ بُعْدًا(٤)، فَارْفُضْ مَجَالِسَهُمْ، وَأَذِلَّهُمْ، وَأَبْعِدْهُمْ كَمَا أَبْعَدَهُمُ اللهُ وَأَذَلَّهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَأَئِمَّةُ الْهُدَى.

التعليق:

يستفاد من هذا الأثر وما ورد فيه من آثار ما يلي:

١- المراسلة بين أهل الحق للتواصي بالثبات عليه والدفاع عنه.

٢- جواز مدح الرجل الصالح بما فيه إذا أمنت الفتنة عليه، وقد دلت على ذلك أدلة كثيرة.

---

(١) جاء نحوه عن الأوزاعي وإبراهيم بن ميسرة وابن عيينة والفضيل بن عياض وغيرهم، وأسانيدها ثابتة.

انظر «ذم الكلام» للهروي (٩٣٥، ٩٤١، ٩٤٤، ٩٤٧)، وأكثرها بلفظ: «من وقَّر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام»

(٢) سيأتي نحوه في باب هجر أهل البدع عن أسد عن كثير أبي سعد من قوله.

(٣) يشير إلى أحاديث لعن المحدث، ومنها حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ، مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا»، (خ ٧٣٠٠)، (م ١٣٧٠)، وحديث: «لَعَنَ اللهُ مَنْ آوَى مُحْدِثًا»، (م ١٩٧٨) عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

والمحدِث - بكسر الحاء- من أحدث فساداً في الأرض، والصرف والعدل: الفريضة والنافلة.

(٤) سيأتي آثار بهذا المعنى في باب: (كل محدثة بدعة)، وهناك يُشرح.

٣- القدح والذم لأهل البدع من صالح الأعمال والمناقب، لأنه دفاعٌ عن الدين.

٤- قمع أهل البدع وإذلالهم، لأنهم يهدمون الدين ويفسدون المسلمين.

٥- التكتل والسرية طريقة أهل البدع حال ضعفهم، فإذا تمكنوا ظهروا.

٦- إزالة البدع وقمعها وإظهار السنن إقامة للدين وللكتاب والسنة.

٧- فضل من أحيا السنة وفضل علمائها وتعليم السنن وتربية المسلمين على ذلك حتى يكونوا يداً واحدة على من خالف الكتاب والسنة.

٩- الدعوة إلى الكتاب والسنة، والتحذير من أهل البدع يحتاج إلى ثلاثة دعائم: البصيرة وهي العلم والحكمة، والإخلاص والاحتساب للأجر، ومتابعة السنة.

١٠- المبتدع موصوف بأنه مفتون ببدعته وزائغ عن الحق، وحائرٌ في فهم الدين ومعرفة الصراط المستقيم.

١١- العلماء والدعاة وحملة السنة هم خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى:

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [سورة يوسف:١٠٨].

١٢- التحذير من مؤاخاة أو مجالسة أهل البدع أو مصاحبتهم في سفر أو حضر، ورحمة الله على أبي قلابة إذ يقول: «لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ»، رواه الآجري وغيره، وسنده صحيح.

١٣- التحذير البليغ من توقير أهل البدع، فإن لذلك مفاسد منها:

- أن الناس يقبلون منه بدعته ولو تدريجياً.

- أن ذلك مدعاة لانتشار البدع وتناقص السنن.

- ومنها: إحداث الفرقة في أوساط أهل السنة بين من ينكر على المبتدع ومن يوقره... وهناك مفاسد أخرى.

١٤- أن البدع من محبطات الأعمال، فالعمل لا يقبل إذا كان مبتدعاً لم تأت به الشريعة، «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فهو رَدٌّ».

١٥- كلما اجتهد المبتدع في العبادة المبتدعة زاد بعداً عن الله تعالى، لأن الزيادة في البدع زيادة في الإثم والشر وترك للسنن.

١٦- جواز لعن المبتدعة جملة لا عيناً.

١٧- ما كان عليه السلف من إذلال المبتدعة والتباعد عنهم.

❋❋❋❋



بَاب مَا يَكُونُ بِدْعَةً[(١)]

(٢) ١٥- عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «اتَّقُوا اللهَ يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ، خُذُوا طَرِيقَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَاللهِ لَئِنِ اسْتَقَمْتُمْ لَقَدْ سُبِقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، وَلَئِنْ تَرَكْتُمُوهُ يَمِينًا وَشِمَالًا لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا».

(٣) ١٧- وَعَنْ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: كَانَ حُذَيْفَةُ يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ فَيَقِفُ عَلَى الْحِلَقِ فَيَقُولُ: «يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ اسْلُكُوا الطَّرِيقَ، فَلَئِنْ سَلَكْتُمُوهَا لَقَدْ سُبِقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، وَلَئِنْ أَخَذْتُمْ يَمِينًا وَشِمَالًا لَقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا»[(٢)].

التعليق:

قوله: (يَا مَعْشَرَ الْقُرَّاءِ) المراد بهم العلماء بالقرآن والسنة والعُبَّاد، (استقيموا) أي: اسلكوا طريق الاستقامة، وهو كناية عن التمسك بأمر الله تعالى فعلاً وتركاً، (لقد سبقتم) أي: إن استقمتم فقد سبقتم (سبقاً بعيداً) أي: ظاهراً، وصفه بالبعد لأنه غاية شأو السابقين، والمراد: أنه خاطب من أدرك أوائل الإسلام، فإذا تمسك بالكتاب والسنة سبق إلى كل خير، لأن من جاء بعده إن عمل بعمله لم يصل إلى ما وصل إليه مَن سبقه إلى الإسلام ، وإلا فهو أبعد منه حساً وحكماً.

---

(١) أراد المؤلف بهذا الباب بيان كيف تكون بداية أمر البدع، وأن ذلك يكون عن طريق التعبد بأمور مخترعة، وقد أنكرها السلف وحذروا منها ثم فشت وكثرت بعدهم، والله المستعان!.

(٢) صحيح. رواه عبد الله بن أحمد في «السنة» (١٨)، وابن نصر في «السنة» (٨٧)، واللالكائي (١١٩)، والبخاري (٤/ ٢٥٧ رقم ٧٢٨٢).

وقوله: (فإن أخذتم يميناً وشمالاً) أي: خالفتم الأمر المذكور فقد سلتكم طريق الضلال البعيد عن الحق وأهله. اهـ قاله الحافظ، «فتح الباري» (١٣/ ٣١٦/ ط السلام).

وتخصيص الحافظ ذلك بالأوائل فيه نظر كما يفهم من الطريق التي بعده، فهو عام في القُرَّاء والعلماء.



(٤) ٢١- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّه حُدِّثَ أَنَّ أُنَاسًا بِالْكُوفَةِ يُسَبِّحُونَ بِالحَصَا فِي المَسْجِدِ، فَأَتَاهُمْ، وَقَدْ كَوَّمَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَوْمَةَ حَصًا، قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ يَحْصِبُهُمْ بِالحَصَا حَتَّى أَخْرَجَهُمْ مِنَ المَسْجِدِ، وَيَقُولُ: «لَقَدْ أَحْدَثْتُمْ بِدْعَةً ظُلْمًا[١]، أَوْ قَدْ فَضَلْتُمْ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ عِلْمًا»[٢].

(٥) ١٨- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: «اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا؛ فَقَدْ كُفِيتُمْ، كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[٣].

التعليق:

قوله: (اتَّبِعُوا) أي: اتبعوا الكتاب والسنة وطريق السلف -وهم الصحابة- فإن ذلك هو الحق المبين والشرع الكامل المتين.

وقوله: (وَلَا تَبْتَدِعُوا) لا تخترعوا طريقة أو عبادة لم يدل عليها كتاب ولا سنة ولم تكن فيمن كان قبلكم من الصحابة رضي الله عنهم تزعمون أنها دين.

وقوله: (فَقَدْ كُفِيتُمْ) بشريعة الإسلام الكاملة الميسرة بالكتاب والسنة، فلا حاجة إلى البدع والمحدثات.

وقوله: (كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ)، لأنها خلاف الحق، ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾ [سورة يونس:٣٢].

---

(١) وفي نسخة (ظَلماء): أي: مظلمة ليس عليها من نور الوحي شيء.

(٢) رجاله ثقات إلا سيار فمجهول، وله شواهد يصح بها ستأتي برقم (٢٧) ونشرحه هنالك.

(٣) سنده حسن. رواه أبو خيثمة في «العلم» (٥٤)، والبيهقي في «المدخل» (٢٠٣).

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: «كَيْفَ يُظَنُّ أَنَّ شَرِيعَتَهُ الْكَامِلَةَ الَّتِي مَا طَرَقَ الْعَالَمَ شَرِيعَةٌ أَكْمَلُ مِنْهَا نَاقِصَةٌ تَحْتَاجُ إِلَى سِيَاسَةٍ خَارِجَةٍ عَنْهَا تُكَمِّلُهَا، أَوْ إِلَى قِيَاسٍ أَوْ حَقِيقَةٍ أَوْ مَعْقُولٍ خَارِجٍ عَنْهَا؟ وَمَنْ ظَنَّ ذَلِكَ فَهُوَ كَمَنْ ظَنَّ أَنَّ بِالنَّاسِ حَاجَةً إِلَى رَسُولٍ آخَرَ بعد رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [سورة النحل:٨٩]»، «إعلام الموقعين» (٤/ ٣٧٦).



(٦) ٢٥- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ قَالَ: سَأَلْتُ الْأَوْزَاعِيَّ عَنِ الْقَوْمِ يَكُونُونَ جَمِيعًا فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: قُولُوا خَيْرًا، قَالَ: «لا يَفْعَلْ[(١)]، فَإِنْ أَبَوْا عَلَيْهِ فَلْيَقُمْ عَنْهُمْ»[(٢)].

التعليق:

قوله: (الأوزاعي) اسمه عبد الرحمن بن عمرو الشامي، من أئمة المسلمين في زمانه، سئل عن قوم يجتمعون في مجلس فيقول بعضهم لبعض - ظناً منه أنه يرشدهم إلى خير-: قولوا خيراً، أي: سبحوا الله كذا وكذا – مثلاً- أو غير ذلك من الأقوال، كما سيأتي.

ومراد الأوزاعي: لا يفعل هذا، لأنه محدث لم يكن على عهد السلف، فإن أرادوا أن يلزموه بذلك وجب عليه مفارقتهم والبعد عنهم حتى لا يوقعوه في بدعة.

وهذا فيه مجانبة مجالس المبتدعة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [سورة الأنعام:٦٨]، وانظر أثر ابن مسعود الآتي، وانظر أمثلة ذلك في باب الذكر من كتاب «البدع والمحدثات» و«معجم البدع».



(١) في نسخة البدر: (ليفعل)، وأظنه خطأ.

(٢) سنده صحيح.

(٧) ٢٧- **عَنْ أَبِي الزَّعراء** قَالَ: جَاءَ الْمُسَيَّبُ بْنُ نجبة إِلَى عَبْدِ الله – ابن مسعود- فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ فِي الْمَسْجِدِ رِجَالًا يَقُولُونَ: سَبِّحُوا ثَلاثَمِائَةٍ وَسِتِّينَ، فَقَالَ: قُمْ يَا عَلْقَمَةُ فَاشْغَلْ عَنِّي أَبْصَارَ الْقَوْمِ، فَجَاءَ فَقَامَ عَلَيْهِمْ فَسَمِعَهُمْ يَقُولُونَ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ لَتُمْسِكُونَ بِأَذْنَابِ ضَلَالٍ، أَوْ إِنَّكُمْ لَأَهْدَى مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، أَوْ نَحْوَ هَذَا»(١).

التعليق:

قوله: (الْمُسَيِّبُ) تابعي لقي بعض الصحابة وعرف كثيراً من السنن، ثم رأى عملاً لم ينقله الصحابة ولم يجده في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فرجع إلى العالم البحر ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليستفتيه فيما رأى.

وهؤلاء القوم جمعوا حصًا ويسبحون ثلاثمائة وستون على عدد مفاصل البدن، فأتاهم ابن مسعود حتى سمع مقالتهم فإذا بدعة محدثة فقال: (إِنَّكُمْ) بعملكم هذا (لَتُمْسِكُونَ بِأَذْنَابِ ضَلَالٍ) تعملون ضلالاً، وقد أمسكتم بذنب الضلال الذي سيجركم إلى النار، فشبه تمسكهم بالبدعة كالذي يمسك بذنب حيوان يجره إلى الهلاك.

(أَوْ إِنَّكُمْ لَأَهْدَى مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وهذا من التخيير بين أمرين أحدهما مستحيل، فيكون الحكم هو الآخر، فهؤلاء يستحيل أنهم أهدى من الصحابة، فلم يبق إلا أنهم على ضلالة.

وجاء في بعض طرق هذا الأثر أنهم قالوا: ما أردنا إلا الخير. فقال لهم: «كم من مريدٍ للخير لم يصبه». وفي بعضها أنهم خرجوا بعد ذلك مع الخوارج، نعوذ بالله من البدع!(٢)

---

(١) صحيح.

(٢) وانظر فتاوى للشيخ ابن باز وغيره في كتاب «البدع والمحدثات» (ص ٤٣٠-٤٣٣).

وانظر شرح الأثر بتوسع في «شرح كتاب فضل الإسلام» في آخر الكتاب، للفوزان وغيره.

(٨) ٣٥- **عَنْ حُمَيْدٍ:** أَنَّ قَوْمًا قَرَءُوا السَّجْدَةَ، فَلَمَّا سَجَدُوا رَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ وَاسْتَقْبَلُوا الْقِبْلَةَ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ مُوَرِّقٌ الْعِجْلِيُّ وَكَرِهَهُ[١].

التعليق:

ويقول حميد - وهو الطويل تابعي جليل-: إن قوماً من جهلة الناس بالسنن قرؤوا آيات في سجود التلاوة ثم رفعوا أيديهم ودعوا واستقبلوا القبلة بعد السجدة، فأنكر عليهم العالم الجليل مورق العجلي وكرهه، لأنه لم يكن من هدي السلف ولا دليل عليه، فهو بدعة.

وهكذا من تعمد قراءة آيات السجود في الصلاة أو غيرها ليسجد فهو بدعة.

وسيأتي في موضع آخر.



(١) سنده صحيح.

(٩) ٣٦- **عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْخَبَّابِ** قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ وَنَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ قَوْمٍ نَقْرَأُ السَّجْدَةَ وَنَبْكِي، فَأَرْسَلَ إِلَيَّ أَبِي، فَوَجَدْتُهُ قَدْ احتجز مَعَهُ هِرَاوَةً، فَأَقْبَلَ عَلَيَّ، فَقُلْتُ: يَا أَبَه، مَا لِي مَا لِي؟ قَالَ: أَلَمْ أَرَكَ جَالِسًا مَعَ الْعَمَالِقَةِ؟ ثُمَّ قَالَ: «هَذَا قَرْنٌ خَارِجٌ الْآنَ»(١).

(١٠) ٣٧- **عَنْ صَالِمِ بْنِ أَبِي الْخَلِيلِ** قَالَ: مَرَّ خَبَّابٌ بِابْنِهِ وَهُوَ مَعَ أُنَاسٍ يُجَادِلُونَ فِي الْقُرْآنِ، فَانْقَلَبَ غَضْبَانَ فَأَعَدَّ لَهُ سَوْطًا، فَلَمَّا انْقَلَبَ الْفَتَى وَثَبَ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَأْتِيَهُ فَضَرَبَهُ ضَرْبًا عَنِيفًا، فَلَمَّا رَأَى الْجِدَّ مِنْ أَبِيهِ قَالَ: قَدْ عَلِمْتُ أَنَّمَا تُرِيدُ نَفْسِي، فَعَلَى مَاذَا؟ فَمَا رَدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا، فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ، فَقَالَ: يَا أَبَتِ، إِنِّي لَا أَعُودُ، فَكَانَ إِذَا مَرَّ بِهِمْ يَدْعُونَهُ، قَالَ: فَيَقُولُ: لَا، إِلَّا أَنْ تَقْبَلُوا مِنِّي مَا قَبِلَ أَبِي مِنْ نَبِيِّ الله، قَالَ: فَيَقُولُونَ له: إِنَّهُ قَدْ كَانَ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ أُمُورٌ وَأَحْدَاثٌ(٢).

التعليق:

قوله: (عبد الله بن خباب) تابعي، وأبوه خباب بن الأرت الصحابي، اجتمع عبد الله مع قوم يقال لهم العمالقة، أصل هذه كلمة لقب لأناس من الجبابرة بالشام، وشُبِّه بهم القُصَّاص لما في بعضهم من الكبر والاستطالة على الناس، أو بالذين يخدعونهم بكلامهم، وهو أشبه.

«النهاية لابن الأثير» (٣/ ٣٠١).

جلس مع هؤلاء القصاص يقرؤون سورة السجدة – أو سورًا فيها سجود التلاوة- ويبكون، يزعمون أن بهم خشوعاً وهو خشوع النفاق.

(فَأَرْسَلَ إِلَيَّ أَبِي) من دعاه من المسجد، فلما جاءه (فَوَجَدْتُهُ قَدْ احتجز مَعَهُ هِرَاوَةً) وهي العصا الكبيرة، (فَأَقْبَلَ عَلَيَّ) ضرباً... (مَا لِي) ما ذنبي.

---

(١) صحيح.

(٢) سنده حسن، وله شواهد.

وقوله: (هَذَا قَرْنٌ خَارِجٌ) إشارة إلى الخروج بالسيف يعقب الخروج بالقول، فمن خرج ببدعته عن السنة خرج بسيفه على الأمة.

وفي الرواية الأخرى: (يجادلون في القرآن) لعلها حادثة أخرى.

والجدال في القرآن محرم، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ، فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا»، رواه البخاري.

وقال: «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ»، رواه الترمذي عن أبي أمامة.

وقوله: (مَا قَبِلَ أَبِي مِنْ نَبِيِّ الله) المراد -والله أعلم-: أن تقبلوا كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وتتركوا المحدثات، فقالوا: (قَدْ كَانَ بَعْدَه أُمُورٌ وَأَحْدَاثٌ) يزعمون أن المسلمين قد غيروا وأحدثوا ما لم يكن في عهده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهذه شُبَهٌ لرد الحق وهي شبهة ساقطة، فإن الله تعالى حافظٌ دينه، ولا يزال الدين ظاهراً ولكنهم قوم يفتنون.



(١١) ٣٩- **عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ** قَالَ: كَتَبَ عَامِلٌ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ إِلَيْهِ: أَنَّ هَاهُنَا قَوْمًا يَجْتَمِعُونَ فَيَدْعُونَ لِلْمُسْلِمِينَ وَلِلْأَمِيرِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: «أَقْبِلْ بِهِمْ مَعَكَ»، فَأَقْبَلَ، وَقَالَ عُمَرُ لِلْبَوَّابِ: «أَعِدَّ سَوْطًا»، فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى أَمِيرِهِمْ ضَرْبًا بِالسَّوْطِ، فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَسْنَا أُولَئِكَ الَّذِينَ تَعْنِي، أُولَئِكَ قَوْمٌ يَأْتُونَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ[١].

التعليق:

قوله: (فَيَدْعُونَ لِلْمُسْلِمِينَ وَلِلْأَمِيرِ) الدعاء الجماعي بهذه الصورة بدعة[٢].

وكذلك تخصيص الأمراء بالدعاء بمثل هذه الصورة فيها بدعة لم تكن على عهد السلف، وقد أنكرها عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأدبهم بالضرب، وإنما كان يدعى للأمراء من غير تخصيص زمان معين أو مكان كالخطبة على المنبر، وسرد ذلك المديح والدعاء العريض للأمراء بأسمائهم وأسماء وزرائهم... إلخ، كما اشتهر هذا عن كثير من خطباء الحكومات.



(١) إسناده حسن، وأخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٥٥٨).

(٢) انظر «معجم البدع» (ص ٢٢٧-٢٢٨).

(١٢) ٤٢ - **عَنْ ضَمْرَةَ بْنِ رَبِيعَةَ** قَالَ: سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ وَسَأَلَهُ عُمَرُ بْنُ الْعَلَاءِ الْيَمَانِيُّ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ، أَسْتَقْبِلُ الْقَاصَّ؟ فَقَالَ: «وَلُّوا الْبِدَعَ ظُهُورَكُمْ»[١].

التعليق:

القاص هو الواعظ الذي يذكر القصص الغريبة لا سيما من قصص بني إسرائيل وغيرهم، وربما كذب واختلق لأجل تجميع الناس حوله وسلب أموالهم، والآثار كثيرة في بيان أن هذه طريقة مبتدعة.

وقوله: (وَلُّوا الْبِدَعَ ظُهُورَكُمْ) أي: لا تلتفوا إليها، ولا تقبلوها، ولا تجالسوا أهلها، فإن الإقبال عليهم توقير لهم وفيه مفاسد كما سبق في أول الكتاب، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [سورة الأنعام:٦٨].



(١) سنده حسن، وذكره الطرطوشي (ص ١٠١).

(١٣) ٤٣- **عَنْ عُقْبَةَ بْنِ حُرَيْثٍ** قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُمَرَ وَجَاءَ رَجُلٌ قَاصٌّ فَجَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: «قُمْ مِنْ مَجْلِسِنَا»، فَأَبَى أَنْ يَقُومَ، فَأَرْسَلَ ابْنُ عُمَرَ إِلَى صَاحِبِ الشُّرْطَةِ: «أَقِمِ الْقَاصَّ»، قَالَ: فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَأَقَامَهُ(١).

قال ابن وضاح في القصاص: لا ينبغي أن يبيتوا في المساجد، ولا يُتركوا أن يبيتوا فيها.

التعليق:

كان ابن عمر في مجلس (وَجَاءَ رَجُلٌ قَاصٌّ فَجَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ) بدون إذن من ابن عمر، (فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: «قُمْ مِنْ مَجْلِسِنَا») لأنه جليس سوء، وهكذا أهل البدع جلساء سوء، (فَأَبَى أَنْ يَقُومَ) رفض سماع كلام صاحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والقيام عنه، وذلك ناتج عن استخفاف أهل البدع بعلماء السنة، (صَاحِبِ الشُّرْطَةِ) القائم الذي وضعه الأمير على رأس عساكر للمحافظة على الأمن وضبط الأمن.

(فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَأَقَامَهُ)، وهذا فيه إذلال المبتدعة، وأن الأمراء والقادة يجب عليهم أن يحافظوا على السنة ويحاربوا البدعة والتصوف والتشيع والحزبية والأشاعرة.

بخلاف أمراء زماننا يقربون الصوفية والمبتدعة لأنهم يفتونهم بما يريدون.



---

(١) صحيح، وأخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٥٥٩).

(١٤) ٤٥- **عَنْ نَافِعٍ [عن ابن عمر]**(١) قَالَ: «لَمْ يُقَصَّ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَا أَبِي بَكْرٍ، وَلَا عُمَرَ، وَلَا عُثْمَانَ، وَأَوَّلُ مَا كَانَ الْقَصَصُ حِينَ كَانَتِ الْفِتْنَةُ»(٢).

التعليق:

لم يكن القص بهذا الطريقة المبتدعة على عهد الخلفاء الراشدين حتى (كَانَتِ الْفِتْنَةُ) أي: فتنة قتل عثمان، ومعناه كما صرح به في بعض طرقه: إنما القصص محدث بدعة.

وفي زماننا تمثيليات وأناشيد الجماعات المبتدعة المحدثة.



(١) ليس في الأصل (ابن عمر) وزدناها من المصنف.

(٢) صحيح عن ابن عمر، أخرجه ابن أبي شيبة (٨/ ٧٤٥)، وابن حبان (٦٢٦١)، وله شواهد.

(١٥) ٤٨- عَنِ ابْنِ عَوْنٍ قَالَ: كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ يَقُولُ فِي أَصْوَاتِ الْقُرْآنِ: «مُحْدَثٌ»(١).

التعليق:

وقال الطرطوشي رحمه الله: يقال: فمن البدع المحدثة في الكتاب العزيز: الألحان والتطريب، قال الله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [سورة المزمل:٤]، يعني: فصله تفصيلاً...

وقال مالك: لا تعجبني القراءة بالألحان ولا أحبها في رمضان ولا غيره، لأنه يشبه الغناء ويُضحَك بالقرآن ... «الحوادث والبدع» (٥٧-٦٧).

وتحسين الصوت بالقرآن سنة، فإذا تجاوز به القارئ إلى التطريب فهذا التطريب بدعة.

«الفتح» (٩/ ٧٢)، «الزاد» (١/ ٤٨٤).



(١) حسن. قال دهمان: أي: قراءة القرآن بالأصوات الموسيقية بدعة.

(١٦)- (٤٩) عَنْ خَبَّابٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: «إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ حِينَ قَصُّوا»[١].

(١٧) ٥٠- **عَنْ هَمَّامِ بْنِ الْحَارِثِ**، قَالَ: «لَمَّا قَصَّ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ أَخْرَجَهُ أَبُوهُ مِنْ دَارِهِ. وَقَالَ: «مَا هَذَا الَّذِي أَحْدَثْتَ؟»[٢].

التعليق:

قوله: (لَمَّا قَصَّ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ...) لعل هذا كان في أول شبابه ثم تركه وأقبل على الحديث، والله أعلم، وإبراهيم هذا ابتلي -أيضاً- بشيء من الإرجاء، عافانا الله تعالى من البدع!

وكان السلف ينكرون على القصاص ويرونهم أهل شر وجلساء سوء، وكان مالك يقول: لا أرى أن يجلس إليهم وإن القصص لبدعة.

وقال أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: أكذب الناس القُصَّاص.

ويدخل في القصص المبتدعة ما يفعله بعض الوعّاظ من ذكر الأحاديث الموضوعة والضعيفة والقصص التي لا تصح والسجع المتكلف، كما هو حال غالب وعَّاظ الحزبيين.



---

(١) حسن. ومعناه: لما تركوا العمل أخلدوا إلى القصص فهلكوا.

(٢) صحيح. وأخرجه ابن سعد (٦/ ٢٨٦).

(١٨) ٥١- عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مِهْرَانَ قال: «الْقَاصُّ يَنْتَظِرُ مَقْتَ اللهِ»[١].

التعليق:

القاص هو: الذي يقص على الناس ويعظهم ويأتي

بأحاديث لا أصل لها، يعظ ولا يتعظ ويختال ويرغب في جلوس الناس إليه.

(يَنْتَظِرُ مَقْتَ اللهِ) لما يعرض في قصصه من الزيادة والنقصان والرياء وحب الشهرة فيمقته الله تعالى.. اهـ بتصرف.

وذكر ابن الجوزي القُصاص في كتابه «القصاص والمذكرين»: أن قوماً منهم كانوا يضعون الأحاديث في الترغيب والترهيب ... ومن ذلك أنهم تلمحوا ما يزعج النفوس ويطرب القلوب فنوَّعوا فيه الكلام، فتراهم ينشدون الأشعار الرائقة في العشق ولبَّس عليهم إبليس بأننا نقصد الإشارة إلى محبة الله عز وجل ... فيَضل القاص ويُضل ... اهـ بتصرف وقد أطال ابن الجوزي في ذلك فليراجع.



(١) حسن. وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٤٩).

١٩- (٥٢) عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ ابْنِ الْمُسَيِّبِ، وَمُوَرِّقٍ، قَالَا: «يُكْرَهُ اخْتِصَارُ السُّجُودِ، وَرَفْعُ الْأَيْدِي وَالصَّوْتِ فِي الدُّعَاءِ»(١).

(٢٠) ٥٣- **عَنِ الْمُغِيرَةِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ:** «أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يَخْتَصِرَ السَّجْدَةَ»(٢).

التعليق:

وقوله: (رَفْعُ الْأَيْدِي) لعل المراد رفعها في الدعاء في الخطبة، أو في الدعاء بطريقة مبتدعة وهو بدعة، وإلا فالأصل في الدعاء رفع الأيدي.

وقوله: (وَالصَّوْتِ فِي الدُّعَاءِ) أي: ورفع الصوت، الأصل في الدعاء والذكر خفض الصوت، كما قال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٥]، فخفض الصوت أقرب إلى الخشوع والإخلاص ورفعه عكسه وداخل في الاعتداء في الدعاء.

وقد جاء عن الحسن أنه قال: «رفع الصوت بالدعاء بدعة، ومد الأيدي بالدعاء بدعة».

واختصار السجود: تعمد قراءة الآيات التي فيها سجدة ليسجد فيها.



(١) حسن.

(٢) حسن إن شاء الله تعالى، وشرحه كالذي قبله.

(٢١) ٥٤- عَن صَفوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ قَالَ: كُنَّا فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ، وَقَاصٌّ لَنا يَقُصُّ عَلَيْنَا، فَجَعَلَ يَخْتَصِرُ سُجُودَ الْقُرْآنِ فَيَسْجُدُ وَنَسْجُدُ مَعَهُ، إِذْ جَاءَ شَيْخٌ فَقَامَ عَلَيْنَا فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ، إِنَّكُمْ لَأَفْضَلُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ »، فَسَأَلْنَا عَنْهُ فَقُلْنَا: مَنْ هَذَا الشَّيْخُ؟ فَقَالُوا: هَذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ(١).

(٢٢) ٥٥- **عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ هِلَالٍ،** قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَقُصُّ فَأُتِيَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقِيلَ لَهُ، فَجَاءَ وَجَلَسَ فِي الْقَوْمِ، فَلَمَّا سَمِعَ مَا يَقُولُونَ قَامَ فَقَالَ: أَلَا تَسْمَعُونَ؟ فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ قَالَ: تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ لَأَهْدَى مِنْ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ، أَوْ أَنَّكُمْ لَتُمْسِكُونَ بِطَرَفِ ضَلَالَةٍ(٢).

التعليق:

ومعناه قال دهمان: علق مستحيلاً على مستحيل، أي: إن كنتم على شيء من السنة فأنتم أهدى من أصحاب محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكنكم لستم بأهدى من أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلستم على شيء من السنة، بل أنتم على بدعة، لأن الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك.



---

(١) سنده حسن

(٢) صحيح. وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٨٦٣٩)، وهذا كالذي قبله برقم (٧/ ٢٧)، ولعلهما حادثتان أو حادثة واحدة. راجع الشرح السابق.

وقد استفدنا من الباب السابق فوائد، منها:

١- فضل العلماء والقُرَّاء إذا تمسكوا بالكتاب والسنة، وسعة شرهم إن خالفوا الكتاب والسنة، فإن الفتنة بهم أعظم، كما في أثر حذيفة.

٢- أن البدع تكون في أولها صغيرة ثم تكبر ويعظم شرها كحال الذين يسبحون بالحصى ثم خرجوا مع الخوارج، وهذا مصداق قوله: «كل بدعة ضلالة».

٣- أن المبتدع يرى أنه أهدى من الصحابة والعلماء لما قد وقع في قلبه من الهوى.

٤- شرعية التحذير من أهل البدع وترك مجالستهم.

٥- وجوب إنكار البدع وذمها عند أول حصولها حتى لا تكبر.

٦- تأديب من يجالس المبتدعة بالهجر أو الضرب ونحو ذلك والضرب، ويكون لولي الأمر سواء كان رب أسرة أو أمير أو ملك، كما في أثر خباب وعمر.

٧- ذم الجدل وأنه من صفات أهل الأهواء في الجملة.

٨- أن أهل الأهواء والبدع ينشطون أيام الفتنة ويستغلون انشغال الناس بالحوادث العظام، فيغرسون بدعهم وينشرونها كما أشار إلى ذلك ابن عمر.

٩- أن القصص بدعة قديمة عرفت عن اليهود ثم تلقاها أهل الأهواء عنهم.

١٠- أن البدع هلاك ودمار، كما في أثر في خباب.

وفيه فوائد أخرى مرت عند الشرح للآثار.



بَابٌ: كُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ[١]

(٢٣) ٥٦- **عَنْ جَابِرٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَبَ النَّبِيُّ ﷺ النَّاسَ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ أَفْضَلَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[٢].

(٢٤) ٥٧- **عَنْ عِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ السُّلَمِيِّ** قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُول الله ﷺ صَلَاةَ الْفَجْرِ فَوَعَظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ثُمَّ قَالَ آخِرَ مَوْعِظَتِهِ: «إِيَّاكُمْ وَكُلَّ بِدْعَةٍ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[٣].

التعليق:

قوله: (خَطَبَ) الجمعة.

وقوله: (فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ) افتتاح الخطب والمواعظ بالحمد والثناء هو المشروع المستحب، وقد أوجبه الشافعي في خطبة الجمعة، ومن البدع افتتاح المجالس العامة بنحو: (باسم كذا نفتتح الجلسة...) مثلاً.

وقوله: (إِنَّ أَفْضَلَ الْهَدْيِ...) الهدي بفتح الهاء: الطريقة. أي: إن أحسن وأفضل وأتم وأكمل وأرفع طريقة هي طريقة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأما بضم الهاء فمعناه: الدلالة والإرشاد.

وقوله: (وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا) هذا صريح على أن البدعة شر لا خير فيها.

---

(١) بعد أن ذكر المصنف بيان كيف كانت بداءة ووقوع البدع، وأن كثيراً منها كان عن طريق الاستحسان، أردفه بباب يبين فيه أن جميع البدع ضلالة ولو استحسنها أصحاب العقول المنحرفة.

فهذا الباب ردٌّ على محسني البدع والمتساهلين في ردِّها.

(٢) صحيح، وهو في مسلم (٨٦٧) مطولاً.

(٣) صحيح، وهو في المسند والسنن، وانظر «الجامع الصحيح» للوادعي (٥/ ٢٤)، وصححه العلامة للألباني.

وقوله: (وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ) تأكّيد على شر البدع وأنها ضلال لا هدي فيها ولا نفع ولا حُسن.

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: فقوله: «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ» من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء، وهو أصل عظيم من أصول الدين، وهو شبيه بقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»، فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين، ولم يكن له أصل من الدين يرجع إليه، فهو ضلالة والدين بريء منه، وسواء في ذلك مسائل الاعتقاد أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة. « جامع العلوم والحكم».

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «القول: إن شر الأمور محدثاتها، وأن كل بدعة ضلالة، والتحذير من الأمور المحدثات: فهذا نص رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يحل لأحد أن يدفع دلالته على ذم البدع، ومن نازع في دلالته فهو مراغم»، «الفتاوى» (١٠/ ٣٧١).

وقال العلامة أحمد بن حجر آل بو طامي رحمه الله تعالى: «تقسيم البدع إلى بدعة سيئة وبدعة حسنة تقسيم باطل، لأنه لا يقوم على دليل من كتاب أو سنة، بل الكتاب والسنة ينهيان عن كل بدعة، فالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يأتنا بهذه البدع، بل قد نهى عنها وحذر منها، وفي حديث العرباض بن سارية: «إياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة»، فإن لفظة (كل) تفيد العموم، ولم يأت ما يخصص هذا العموم... «تحذير المسلمين عن الابتداع والبدع في الدين» (١١٢)، وذكر عدة فصول في الرد على محسِّني البدع.

وقال العلامة الحكمي رحمه الله تعالى: «اعْلَمْ أَنَّ الْبِدَعَ كُلَّهَا مَرْدُودَةٌ لَيْسَ مِنْهَا شَيْءٌ مَقْبُولًا، وَكُلَّهَا قَبِيحَةٌ لَيْسَ فِيهَا حَسَنٌ، وَكُلَّهَا ضَلَالٌ لَيْسَ فِيهَا هُدًى، وَكُلَّهَا أَوْزَارٌ لَيْسَ فِيهَا أَجْرٌ، وَكُلَّهَا بَاطِلٌ لَيْسَ فِيهَا حَقٌّ». اهـ «المعارج» (٣/ ١٢٢٨).



(٢٥) ٥٩- عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَصْدَقُ الْقِيلِ قِيلُ اللهِ، وَإِنَّ أَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَإِنَّ شَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، أَلَا وَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»[(١)].

(٢٦، ٢٧) ٦٠، ٦١- **عَنْ وَاصِلٍ مَوْلَى أَبِي عُيَيْنَةَ** قَالَ: دَفَعَ إِلَيَّ يَحْيَى بْنُ عُقَيْلٍ صَحِيفَةً فَقَالَ: هَذِهِ خُطْبَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ، إِنَّهُ كَانَ يَقُولُ كُلَّ عَشِيَّةِ خَمِيسٍ: إِنَّمَا هُوَ الْقَوْلُ وَالْعَمَلُ، فَأَصْدَقُ الْقَوْلِ قَوْلُ اللهِ، وَأَحْسَنُ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[(٢)].

(٢٨) ٦٢- عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: «أَوْشَكَ قَائِلٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُ: قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ وَلَا أَرَى النَّاسَ يَتَّبِعُونِي، مَا هُمْ بِمُتَّبِعِيَّ حَتَّى أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ، فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتُدِعَ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَا ابْتُدِعَ ضَلَالَةٌ»[(٣)].

التعليق:

أثر عمر وأثر ابن مسعود رضي الله عنهما مأخوذان من الأحاديث السابقة.

وقوله: (أَصْدَقُ الْقِيلِ قِيلُ الله) قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [سورة النساء:١٢٢]، وهو بمعنى: أصدق الحديث كلام الله. وقد سبق.

وفي أثر ابن مسعود بيان أن الإيمان والدين يرجع إلى القول والعمل: قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح.

---

(١) حسن. وأخرجه ابن نصر في «السنة» (٧٨).

(٢) حسن.

(٣) صحيح، وسيكرر (٣٠/ ٦٦).

ويُستفاد من هذه الآثار إلى ما سبق:

١- ما كان عليه السلف من الدعوة إلى التمسك بالدين وتعظيم كلام الله تعالى وهدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والتحذير من البدع.

٢- جواز تخصيص يوم للمواعظ كالخميس أو غيره ...

٣- الحرص على كتابة آثار السلف وتدوينها في الصحائف ليعم نفعها.



(٢٩) ٦٣- **عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ، وَقَبْضُهُ ذَهَابُ أَهْلِهِ. عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ؛ فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَتَى يَفْتَقِرُ إِلَيْهِ، أَوْ يُفْتَقَرُ إِلَى مَا عِنْدَهُ، وَسَتَجِدُونَ أَقْوَامًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللهِ وَقَدْ نَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ.

عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّبَدُّعَ وَالتَّنَطُّعَ، وَالتَّعَمُّقَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعَتِيقِ»[(١)].

التعليق:

قوله: (عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ) الزموه وثابروا على تحصيله، والأدلة التي تحث على العلم كثيرة.

(قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ) قبض العلم نوعان: الأول بقبض العلماء، والثاني برفعه، يُرفع العلم من الصحف والكتب.

ودليل الأول ما في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمُ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ...»، الحديث. (خ ١٠٠)، (م ٣٦٧٣).

قال الحافظ في «الفتح» ما ملخصه: لا يمحى من الصدور محواً، إنما يموت العالم ولا يوجد من يخلفه. اهـ

وقد جاء عن عمر بن عبد العزيز (خ/ باب ٣٤) أنه قال: «لتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً».

فإذا لم ينشر العالم علمه، أو لم يأخذ الناس عنه حتى مات فذلك هو ذهاب العلم بذهاب أوعيته وحملته.

الثاني: رفع العلم من الكتب ورفع القرآن وذلك في آخر الزمان، فيصبح الناس ولا يجدون إلا

---

(١) صحيح. أبو قلابة لم يُعرف له سماع من ابن مسعود، ورواه البيهقي في «المدخل» (٣٨٦) مختصراً، وسنده صحيح، ومطولاً نحو ما هنا وسنده صحيح أيضاً.

صحفاً فارغة، كما ورد ذلك صريحاً في حديث عوف بن مالك عند أحمد أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «هَذَا أَوَانُ رَفْعِ الْعِلْمِ» الحديث، وهكذا حديث حذيفة وأنس وأبي هريرة وغيرهم التي ذكر فيها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن العلم يُدْرس ويرفع حتى لا يبقى منه شيء.

وقوله: (أَوْ يُفْتَقَرُ إِلَى مَا عِنْدَهُ) فيه الحث على العلم، فإن الطالب إذا استمر على العلم احتاج الناس إلى علمه لا سيما إذا صار علمه غزيرًا، ومات العلماء الكبار.

وذكر ابن عبد البر في جامعه بإسناد حسن: أن ابن عباس طلب العلم مع توافر كبار الصحابة، فلما ماتوا افتقر الناس إلى علم ابن عباس ورحل إليه طلبة العلم من بقاع شتى.

وجاء عن عروة أنه قال لأولاده: تعلّموا فإنكم اليوم صغار قوم وستكونون غداً كبار قوم.

وقوله: (وَسَتَجِدُونَ أَقْوَامًا... وَقَدْ نَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ)، وهؤلاء هم علماء الباطل والدنيا الذين يظهرون الدعوة إلى كتاب الله تعالى وهم على خلاف ذلك، وإنما يتظاهرون بذلك لفتنة الناس إلى فكرهم.

وفي وصف الخوارج أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يَقُولُونَ مِنْ قَوْلِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»، وقال: «يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ»، رواهما في الصحيح.

قوله: (وَإِيَّاكُمْ وَالتَّبَدُّعَ) احذروا إحداث البدع أو السير وراء البدع، وهذا فيه أيضاً: التحذير من المبتدعة، لأنهم دعاة إلى التبدع.

قوله: (وَالتَّنَطُّعَ، وَالتَّعَمُّقَ) التنطع هو التعمق والمغالاة.

وقوله: (الْعَتِيق) أي: القديم، يريد ما كان عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه بعده.



(٣٠) ٦٦- عَنْ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «تَكُونُ فِتْنَةٌ يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ، وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ، حَتَّى يَقْرَأَهُ الْمُؤْمِنُ، وَالْمُنَافِقُ، وَالرَّجُلُ، وَالْمَرْأَةُ، وَالصَّغِيرُ، وَالْكَبِيرُ، فَيَقْرَأُهُ الرَّجُلُ سِرًّا فَلَا يُتَّبَعُ، فَيَقُولُ: مَا أُتَّبَعُ، فَوَاللهِ لَأَقْرَأَنَّهُ عَلَانِيَةً، فَيَقْرَأُهُ عَلَانِيَةً فَلَا يُتَّبَعُ، فَيَتَّخِذُ مَسْجِدًا وَيَبْتَدِعُ كَلَامًا لَيْسَ مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَلَا مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُ؛ فَإِنَّهَا بِدْعَةُ ضَلَالَةٍ، وَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُ؛ فَإِنَّهَا بِدْعَةُ ضَلَالَةٍ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُ؛ فَإِنَّهَا بِدْعَةُ ضَلَالَةٍ» ثَلَاثًا[١].

التعليق:

قوله: (تَكُونُ فِتْنَةٌ) تكثر الفتن، والفتنة الامتحان، والمراد هنا: فتنة الدنيا والمال والبدع... فإن النكرة تفيد العموم.

قوله: (وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ) كناية عن شيوع إقراء القرآن وقراءته وكثرة ذلك، والمعنى: أن أيام الفتن يكثر من يقرأ القرآن، وربما استدل به على مذهبه كما كان حال الخوارج.

وقوله: (حَتَّى يَقْرَأَهُ الْمُؤْمِنُ، وَالْمُنَافِقُ) وفي رواية أبي داود زاد: «والحر والعبد»، فأما المنافق فيجادل به على باطله، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُنَافِقٌ عَلِيمُ اللِّسَانِ»، رواه أحمد وصححه العلامة الألباني.

قوله: (فَيَقْرَأُهُ الرَّجُلُ سِرًّا) أي: في بيته أو بمفرده فلا يجد الناس يتبعونه.

قوله: (فَيَقُولُ: مَا أُتَّبَعُ)، وفي الرواية الأولى: (قَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ وَلَا أَرَى النَّاسَ يَتَّبِعُونِي)، وهذا يدل على فساد نوايا أهل الباطل وإن تظاهروا بالصلاح، وأنهم يظهرون تعلم وتعليم القرآن للتغرير بالعوام والمفتونين بهم.

قوله: (فيقول: فَوَاللهِ لَأَقْرَأَنَّهُ عَلَانِيَةً) بحثاً عن الأتباع: (فَيَقْرَأُهُ عَلَانِيَةً فَلَا يُتَّبَعُ).

(١) صحيح. ورواه الحاكم (٤/ ٤٦٦) واللالكائي (١/ ٨٩) وقد سبق (٢٨/ ٦٢).

قوله: (فَيَتَّخِذُ مَسْجِدًا وَيَبْتَدِعُ كَلَامًا لَيْسَ مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَلَا مِنْ سُنَّةِ رَسُولِه..)، وفي الرواية الأولى: (ما هم بمتبعي حتى ابتدع لهم غيره).

وهذا المبتدع اتخذ مسجداً لِيبثَّ بدعته على المتوافدين للصلاة فيه، ولهذا كان السلف يحذرون من مجالس المبتدعة ودروسهم، خشية الافتتان بهم.

وكلام معاذ يدل على أن البدعة خلاف الكتاب والسنة، وهذا ردٌّ على من يقول هناك بدعة حسنة، ويؤيده قوله في الرواية الأولى: (كل ما ابتدع ضلالة)، وحديث عبد الله بن عمرو رفعه: «أَكْثَرُ مُنَافِقِي أُمَّتِي قُرَّاؤُهَا»، رواه أحمد وهو حسن، هو في حق هذا الصنف المنحرف.

وقوله: (فَإِيَّاكُمْ) أحذركم بدعته (وَإِيَّاهُ) أحذركم منه ومجالسته أو: احذره.

وقوله: (فَإِنَّهَا بِدْعَةُ ضَلَالَةٍ) لأنها مخالفة للكتاب والسنة، كما سبق بيانه في بابه (كل بدعة ضلالة)[1].



(١) وانظر «عون المعبود» (١٢/ ٣٦٣-٦٤).

(٣١) ٦٩- **عَنِ الْحَسَنِ** قَالَ: «صَاحِبُ الْبِدْعَةِ لَا يَزْدَادُ اجْتِهَادًا، صِيَامًا وَصَلَاةً، إِلَّا ازْدَادَ مِنَ اللهِ بُعْدًا»(١).

التعليق:

قوله: (صَاحِبُ الْبِدْعَةِ لَا يَزْدَادُ اجْتِهَادًا) في بدعته، سواء كانت صلاة كصلاة الرغائب، أو صياماً كصيام رجب وشعبان تامين، ونحو ذلك من البدع.

فكلما زاد منها ازداد بعداً عن الله تعالى، لأن البدعة ضلالة، فمن زاد فيها زاد في الضلال وتكاثرت عليه الآثام.

والشيطان يزين البدعة في قلب صاحبها حتى يتلذذ بالإكثار منها، وانظر إلى كثرة قراءة القرآن في الخوارج وهم شر البرية، وتأمل كثرة عبادة الرهبان وبعض زهاد الصوفية وهم أهل ضلال أفضى كثير منهم إلى الغرور ثم إلى الحلول.

نسأل الله الكريم أن يعصمنا!



(١) صحيح إن سلم من الانقطاع بين مهدي بن ميمون والحسن.

(٣٢) ٧٥- **عن سعيد بن العاص** أن ابْنَ عَبَّاسٍ دَخَلَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَعُبَيْدُ بْنُ عُمَيْرٍ يَقُصُّ، فَقَالَ لِلَّذِي يَقُودُهُ: «امْشِ بِي حَتَّى تَقِفَ بِي عَلَيْهِ»، فَلَمَّا وَقَفَ تَلَا الْآيَاتِ الَّتِي فِي سُورَةِ مَرْيَمَ، ثُمَّ قَالَ: «اتْلُ كِتَابَ اللهِ ابْنَ عُمَيْرٍ، وَاذْكُرْ ذِكْرَ اللهِ، وَإِيَّاكَ وَالْبِدَعَ فِي دِينِ اللهِ»[1].

التعليق:

هذا الأثر فيه ذم القُصَّاص وقد سبق، وابن عمير هذا محدث ثقة، إلا أنه انتقد عليه ما قرأت، عفا الله تعالى عنا وعنه!

وفي الأثر ما كان عليه ابن عباس من إنكار المنكر ومحاربة البدع.

وفيه أن في قصص القرآن وصحيح السنة ما يغني عن تلك الغرائب.

وقوله: (وَاذْكُرْ ذِكْرَ اللهِ) أي: اذكر الآيات التي يقول الله فيها: (واذكر في الكتاب) من سورة مريم من قصص الأنبياء، وإياك والقصص المكذوبة ولو اشتهرت بين الناس.

وقوله: (وَإِيَّاكَ) أحذرك (الْبِدَعَ) الابتداع (فِي دِينِ اللهِ) أي: يلبس البدعة لباس الدين فتختلط على الناس ويظنون أنها من الدين.



(١) صحيح.

(٣٣) ٧٦- **عَنِ النَّضْرِ**، عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ: كَتَبَ عَامِلٌ لَهُ يَسْأَلُهُ عَنِ الْأَهْوَاءِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ، وَالِاقْتِصَادِ فِي أَمْرِهِ، وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَتَرْكِ مَا أَحْدَثَ الْمُحْدِثُونَ بَعْدَهُ مِمَّا جَرَتْ بِهِ سُنَّتُهُ وَكُفُوا مُؤْنَتَهُ، فَعَلَيْكَ بِلُزُومِ السُّنَّةِ؛ فَإِنَّهَا لَكَ بِإِذْنِ اللهِ عِصْمَةٌ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ لَمْ يُحْدِثُوا بِدْعَةً إِلَّا وَقَدْ مَضَى قَبْلَهَا مَا هُوَ دَلِيلٌ عَلَيْهَا وَعِبْرَةٌ فِيهَا، فَإِنَّ السُّنَّةَ إِنَّمَا سَنَّهَا مَنْ عَلِمَ مَا فِي خِلَافِهَا مِنَ الْخَطَأِ، وَالزَّلَلِ، وَالْحُمْقِ، وَالتَّعَمُّقِ، فَارْضَ لِنَفْسِكَ مَا رَضِيَ بِهِ الْقَوْمُ لِأَنْفُسِهِمْ؛ فَإِنَّهُمُ السَّابِقُونَ، وَإِنَّهُمْ عَنْ عِلْمٍ وَقَفُوا، وَبِبَصَرٍ نَافِذٍ كَفُّوا، وَلَهُمْ كَانُوا عَلَى كَشْفِ الْأُمُورِ أَقْوَى، وَبِفَضْلٍ فِيهِ لَوْ كَانَ أَحْرَى، فَلَئِنْ كَانَ الْهُدَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ فَقَدْ سَبَقْتُمُوهُمْ إِلَيْهِ، وَلَئِنْ قُلْتَ: إِنَّمَا أَحْدَثَ بَعْدَهُمْ مَا أَحْدَثَهُ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ، وَرَغِبَ بِنَفْسِهِ عَنْهُمْ، لَقَدْ تَكَلَّمُوا فِيهِ بِمَا يَكْفِي، وَوَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي، فَمَا دُونَهُمْ مُقَصِّرٌ، وَمَا فَوْقَهُمْ [مُحْصِرٌ](١)، لَقَدْ قَصَّرَ دُونَهُمْ أَقْوَامٌ فَجَفَوْا، وَطَمَحَ عَنْهُمْ آخَرُونَ فَغَلَوْا، وإِنَّهُمْ بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ(٢).

التعليق:

عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي العادل (ت ١٠١هـ).

قوله: (يَسْأَلُهُ عَنِ الْأَهْوَاءِ) وفي السنن: (عن القدر) والأول أعم، والمعنى: يسأله كيف يتعامل معها ومع أهلها وكيف يكون موقفه منها.

(أَمَّا بَعْدُ) أي: ذكر الحمد والثناء ثم قال: أما بعد، وهي كلمة يؤتى بها للانتقال من المقدمة إلى الموضوع.

(أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ) الوصية بالتقوى ثابتة في القرآن والسنة، وذلك في قوله تعالى:

---

(١) في طبقات الحنابلة واللمعة: (مُحسِّر).

٢) صحيح.

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [سورة النساء:١٣١]، وفي حديث العرباض بن سارية – وقد سبق –: «أوصيكم بتقوى الله...»، رواه أبو داود.

والتقوى: هي ملازمة العمل بالكتاب والسنة، أي: فعل الطاعات كما أمرنا ربنا وترك المنكرات.

قوله: (وَالِاقْتِصَادِ فِي أَمْرِهِ) التوسط بين الإفراط والتفريط في الدين فلا تفريط ولا غلو.

قوله: (وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أي: اتباع الكتاب والسنة.

قوله: (وَتَرْكِ مَا أَحْدَثَ الْمُحْدِثُونَ بَعْدَهُ) وأوصيك بترك ما ابتدعه المبتدعة في الدين، فإن كل محدثة بدعة ضلالة.

قوله: (مِمَّا جَرَتْ بِهِ سُنَّتُهُ) أي: ما أحدثوه من بدعة وقد سبقت السنة بخلافه، ولا شك أن كل بدعة خلاف السنة، أو يكون المعنى: أن السنة جرت على التحذير من المحدثات.

وقوله: (وَكُفُوا مُؤْنَتَهُ) المؤنة: الثقل، فالمعنى: أي: كفاهم الله تعالى مؤنة ما أحدثوه، أي: أغناهم عن أن يحملوا ثقل الإحداث والابتداع، فإنه تعالى قد أكمل الدين وأتم النعمة، فلم يترك حاجة للمحدثات والزيادة في الدين، بل حكم عليها أنها ضلالة.

وقوله: (فَعَلَيْكَ بِلُزُومِ السُّنَّةِ) أحثك بالتمسك والملازمة للسنة في كل أحوالك.

(فَإِنَّهَا لَكَ بِإِذْنِ الله عِصْمَةٌ) عصمة من الضلال والفتن والأهواء.

قوله: (وَاعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ لَمْ يُحْدِثُوا بِدْعَةً إِلَّا وَقَدْ مَضَى قَبْلَهَا مَا هُوَ دَلِيلٌ عَلَيْهَا وَعِبْرَةٌ فِيهَا)

واعلم أن أهل الأهواء لم يبتدعوا في العبادة أو العقيدة أو النِحل ... إلا وقد ذكر في الكتاب والسنة قبل حدوث البدعة ما هو دليل على أن تلك البدعة ضلالة (وَعِبْرَةٌ فِيهَا) ليعتبر الناس ماذا حل بالمبتدعة قبلهم من العذاب والضلال فيكفوا عن الابتداع.

قوله: (فَإِنَّ السُّنَّةَ) حقٌّ لا باطل فيها لأنها (إِنَّمَا سَنَّهَا) شرعها (مَنْ عَلِمَ) وهو الله تعالى أو رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (مَا فِي خِلَافِهَا) خلاف السنة هي البدعة، والمعنى: ما في مخالفة السنة

من البدع (مِنَ الخَطَأِ، وَالزَّلَلِ، وَالحُمْقِ، وَالتَّعَمُّقِ)، كل هذه أوصاف للبدعة وللمبتدع.

وإذا كان الذي شرع السنة قد علم ذلك فقد أمر بلزوم السنة وترك البدعة رحمة بالعباد، وأما من ترك السنن وأحدث البدع فإنه جاهلٌ أحمق، لأنه أحدث ما فيه الضرر على العباد والبلاد لجهله بضرر المحدثات، ولذلك جاء التحذير عن البدع والمحدثات.

قوله: (فَارْضَ لِنَفْسِكَ مَا رَضِيَ بِهِ الْقَوْمُ لِأَنْفُسِهِمْ) ارض بما رضي به أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأتباعهم بعده من الاتباع وترك الابتداع، وترك الخوض في الأهواء.

قوله: (فَإِنَّهُمُ السَّابِقُونَ) إلى جميع المأمورات، قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [سورة التوبة:١٠٠] الآية.

قوله: (وَإِنَّهُمْ عَنْ عِلْمٍ) بالكتاب والسنة وفضل لزومها وضرر مخالفتها، (وَقَفُوا) تركوا الخوض في القدر والجدل ونحو ذلك، لعلمهم أن الخوض في مثل هذا لا يعود بنفع، بل يعود بالضرر. وفي السنن فسرها بقوله: (اطلعوا)، ولم يظهر لي معناه.

وقوله: (وَبِبَصَرٍ نَافِذٍ كَفُّوا) المراد بالبصر هنا: بصيرة القلب، وهو العلم (نَافِذٍ) قوي ثاقب (كَفّوا) تركوا وتوقفوا عن الخوض فيه، لأنه لا خير في الخوض فيه، فالموفق من سلك طريقهم، وقد تعمق في ذلك قوم وخاضوا حتى احتاروا وضلوا.

قوله: (وَلَهُمْ كَانُوا عَلَى كَشْفِ الْأُمُورِ أَقْوَى) أي: فقد كانوا على فهم أمور الدين ونشرها أقوى ممن بعدهم، ومع هذا تركوا الخوض في علم الكلام والتأويلات الفاسدة لأنها شر.

فالخوض فيها ممن بعدهم دليلٌ على جهلهم، قال تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا﴾ [سورة البقرة:١٣٧]، فالهداية في طريقهم التي ساروا عليها كتاب وسنة.

قوله: (وَبِفَضْلٍ فِيهِ لَوْ كَانَ) وهذا من التنزه، ومعناه: ولا فضل فيه (أَحْرَى) أحرص وأولى.

قوله: (فَلَئِنْ كَانَ الْهُدَى...) إن كان طريقة المبتدعة أهدى في نظرهم فقد سبقوا السلف إلى هذا الهدى، فإن كانوا –السلف– أهدى وهو الحق فأنتم أيها المبتدعة على ضلال، وهذا هو الواقع.

قوله: (وَلَئِنْ قُلْتَ: إِنَّمَا أَحْدَثَ بَعْدَهُمْ ...) فإذا اعترف أنه على طريقة محدثة لم تكن عند السلف فقد اعترف بأنه على غير سبيلهم المستقيم، وأنه على ضلال مبين.

قوله: (فَقَدْ تَكَلَّمُوا فِيهِ) في أمور الدين (بِمَا يَكْفِي) ويغني عن المحدثات والبدع (وَوَصَفُوا مِنْهُ مَا يَشْفِي) طالب الحق ممن بعدهم.

قوله: (فَمَا دُونَهُمْ) من لم يصل إلى مستواهم بل تكاسل (مُقَصِّرٌ) من التقصير والعجز، وهو مذموم لعدم حرصه على متابعة السلف.

قوله: (وَمَا فَوْقَهُمْ مُحْصِرٌ) وفي اللمعة: (محسر) أي: من تجاوز هديهم وغالى وتنطع، وهذا مذموم، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ﴾ [سورة المائدة:٧٧] الآية. وقيل المعنى: أن الغلو يؤول إلى الحسر وهو التعب والعجز والحيرة كما حصل لمن تعمق في علم الكلام.

قوله: (... فَجَفَوْا) الجفاء: التباعد، والمراد: ابتعدوا عن الحق وانحطوا إلى الباطل.

قوله: (وَطَمَحَ) ارتفع وتجاوز الحد (فَغَلَوْا) وأسرفوا فضلُّوا، والحق هدى بين ضلالتين، واعتدال بين الجفاء والغلو، وهو معنى قوله: (وإِنَّهُمْ بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ) لا اعوجاج فيه، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [سورة الأنعام:١٥٣](١).

(١) وانظر «عون المعبود» (١٢/ ٣٧٩-٣٧٣)، «شرح الفوزان للمعة» (ص ٦٢-٦٤).

(٣٥) ٧٨- **عَنْ أَبِي وَائِلٍ**، قَالَ: خَطَّ عَبْدُ الله خَطًّا مُسْتَقِيمًا، وَخَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، فَقَالَ: خَطَّ رَسُول الله ﷺ هَكَذَا فَقَالَ لِلْخَطِّ الْمُسْتَقِيم: «هَذَا سَبِيلُ الله»، وَلِلْخُطُوطِ الَّتِي عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ: «هَذِهِ سُبُلٌ مُتَفَرِّقَةٌ، عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ، وَالسَّبِيلُ مُشْتَرَكٌ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [سورة الأنعام:١٥٣](١).

التعليق:

سبيل الله تعالى واحد، وهو الطريق الموصل إليه، المستقيم الذي لا اعوجاج فيه، فمن سار عليه استقام باستقامة الصراط، وسبيل الله تعالى كتابه الكريم وسنة نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وسُبل الباطل كثيرة مختلفة معوجة، من سار عليها اعوجَّ باعوجاجها، ومن ادعى الاستقامة مع السير على هذه السُّبُل فقد تناقض.

قوله: (... شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ) الشيطان هنا نكرة، والنكرة تفيد العموم، فهو شامل لشياطين الجن والإنس الذين يدعون إلى ترك الصراط المستقيم، والعجيب أن اعوجاج هذه السُّبل يخفى على كثير ممن جهل الصراط المستقيم فيتبعون شياطينها، ولا يثبت على الحق إلا القليل، وأكثر الناس يغترون بكثرة السُّبُل وكثرة دعاتها فيضلون وراء ذلك.

اللهم يا ولي الإسلام والمسلمين ثبتنا على الصراط المستقيم حتى نلقاك.



(١) صحيح، رواه أحمد (١/ ٤٦٥) وغيره، وانظر تخريجه هناك.

(٣٥-٣٦) ٨٠- **عَنْ عَاصِمٍ الْأَحْوَلِ** قَالَ: قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: «تَعَلَّمُوا الْإِسْلَامَ؛ فَإِذَا تَعَلَّمْتُمُوهُ فَلَا تَرْغَبُوا عَنْهُ، وَعَلَيْكُمْ بِالصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ؛ فَإِنَّهُ الْإِسْلَامُ، وَلَا تُحَرِّفُوا الصِّرَاطَ شِمَالًا وَلَا يَمِينًا، وَعَلَيْكُمْ بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ ﷺ وَالَّذِي كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْتُلُوا صَاحِبَهُمْ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ يَفْعَلُوا الَّذِي فَعَلُوا؛ فَإِنَّا قَدْ قَرَأْنَا الْقُرْآنَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقْتُلُوا صَاحِبَهُمْ بِخَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَإِيَّاكُمْ وَهَذِهِ الْأَهْوَاءَ الَّتِي تُلْقِي بَيْنَ النَّاسِ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ».

قَالَ: وَحَدَّثْتُ بِهِ الْحَسَنَ، فَقَالَ: صَدَقَ وَنَصَحَ.

قَالَ: وَحَدَّثْتُ بِهِ حَفْصَةَ بِنْتَ سِيرِينَ، فَقَالَتْ: بِأَبِي وَأَهْلِي أَنْتَ حَدَّثْتَ بِهَذَا مُحَمَّدًا؟ فَقُلْتُ: لَا، قَالَتْ: حَدِّثْهُ بِهِ[١].

التعليق:

قوله: (تَعَلَّمُوا الْإِسْلَامَ) تعلموا أحكام الإسلام حتى تفهموا ما أراد الله منكم.

وقوله: (فَلَا تَرْغَبُوا عَنْهُ) رغب عن كذا بمعنى: تركه وزهد فيه.

قوله: (وَلَا تُحَرِّفُوا الصِّرَاطَ...) لا تنحرفوا عنه فتذهبوا يمنة ويسرة إلى غيره من البدع والأهواء وما هو أكبر من ذلك. (وَعَلَيْكُمْ) الزموا (سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ) قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [سورة الحشر:٧]، وفي حديث العرباض نحو هذا، وقد سبق.

قوله: (وَالَّذِي كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ) من الألفة والاجتماع والجهاد ومحاربة البدع والأهواء ...

قوله: (قَبْلَ أَنْ يَقْتُلُوا صَاحِبَهُمْ) يعني: قبل أن يقتل الخوارج عثمان.

وقوله: (...الَّذِي فَعَلُوا) يعني: ما حصل من الاختلاف بعد مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: (وَإِيَّاكُمْ) احذروا (هَذِهِ الْأَهْوَاءَ) البدع والأطماع والتي من ثمرتها أنها تفرق وتزرع العداوات.

---

(١) رجاله ثقات. ورواه عبد الرزاق (١/ ٣٦٧) وابن نصر في «السنة» (٢٩) وغيرهما.

(٣٧) ٨٢- **عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُول الله ، هَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، قَوْمٌ يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي، وَيَهْتَدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي» قَالَ: فَقُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى بَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»، قُلْتُ: يَا رَسُول الله ، صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِذْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ إِمَامٌ وَلَا جَمَاعَةٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا، وَأَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ كَذَلِكَ»(١).

التعليق:

كان حذيفة يحرص على معرفة الشر والفتن حتى لا يقع فيها، فالحرص على معرفة الخير مطلوب، لكن لا يقتصر العبد عليه، بل لابد عليه أن يعرف ضده وهو الشر لئلا يقع فيه، فتتعلم التوحيد وتتعلم ما يضاده وهو الشرك حتى لا تشرك وأنت لا تشعر.

وتتعلم السنة وتعرف البدعة، وتتعلم الطاعة وتعرف المعصية ... وهكذا.

فحذيفة سأل عن الخير ثم سأل: هل بعده شر؟ فكان الجواب: (نَعَمْ) ثم فسره بقوله:

(قَوْمٌ) نكرة تفيد العموم لكل من اتصف بما سيأتي ذكره في أيِّ زمان أو مكان كانوا.

(يَسْتَنُّونَ بِغَيْرِ سُنَّتِي) أي: يعملون ويتبعون غير سنة رسول الله، والمعنى: يحدثون بدعاً ويعملون بها ويدعون إليها، (وَيَهْتَدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي) يقتدون ويأتمون بغير هدي محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ الذي هو خير الهدي وهو ما كان عليه من الكتاب والسنة، فهؤلاء القوم يأتمون بزعمائهم الذين ابتدعوا لهم مكان الخير شراً، ومكان السنة بدعة، ومكان الهدى ضلالة، وربما مكان التوحيد شرًّا.

(١) صحيح، وهو متفق عليه (خ ٧٠٨٤)، (م ١٨٤٧).

زاد في رواية كما في البخاري: (تعرف منهم وتنكر) أي: فيهم خير وشركًا، تعرف بعض أقوالهم وأعمالهم وأنها موافقة للكتاب والسنة، البعض الآخر تنكره لأنه مخالف للكتاب والسنة، فخيرهم مخلوط بشرهم.

وهذا حال عامة أهل البدع يخلطون السنن بالبدع حتى تُنفق بدعهم كما أوضحناه في كتابنا «علامات أهل البدع».

ثم هذا الخير الذي فيه دخن – والمراد بالدخن: اختلاطه بالشر – يعقبه شرٌّ كثير، فالأول شرٌّ مع وجود خير، وهذا عند ضعف البدع، والثاني عند ظهور البدع وقوتها.

فلما سأله قال: (نَعَمْ) سيأتي شرٌّ عريض، ثم فسَّره بقوله: (دُعَاةٌ عَلَى بَابِ جَهَنَّمَ) يعلنون الدعوة إلى الشرك كالصوفية، أو إلى الحزبيات أو البدع الأخرى كالخوارج، فهم داخلون في هذا الحديث دخولاً أولياً، وشرٌّ منهم الرافضة.

وقوله: (عَلَى بَابِ جَهَنَّمَ) هذا باعتبار مآل البدع أنها دعوة إلى جهنم، لأن كل ضلالة في النار، أي: مآل أصحابها النار، وهكذا من أجابهم في الدنيا تبعهم إلى النار، فشبه تسببهم في إضلاله بالقذف له بالنار باعتبار المآل.

وكل داعٍ إلى ضلالة وبدعة فهو من دعاة جهنم، وهم – كما سبق – يدعون الناس باسم الخير والرشاد تلبيساً عليهم، كما قال فرعون: ﴿وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [سورة غافر:٢٩].

ثم وصفهم بقوله: (هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا) أي: مسلمين عرب وغير عرب، من أهل الإسلام أو من المنافقين، (وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا) باللغة العربية لغة المسلمين، ويتكلمون باسم الدين أيضاً، وهذه فتنة عمياء –اللهم سلمنا وعافنا– خاف حذيفة وأخذ يسأل كيف ينجو من شرهم؟ فكان الجواب في قوله: (تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ) جماعة المسلمين المتمسكين بالدين، وتلزم إمامهم وهو الخليفة أو الحاكم –ولي الأمر– والعلماء الصادقين.

وهذا صريح أن عامة الدعاة على أبواب جهنم هم ممن يدعون إلى الخروج على الحكام المسلمين - سواء كانوا ظلمة أو غير ظلمة- لأن أصل الشر في هذه الأمة هو: إظهار البدع والخروج على الأئمة، ومن هؤلاء الأشرار: الخوارج والرافضة والحزبيون وجماعة التكفير وجماعة الجهاد والسرورية ومن جرى مجراهم، فاحذرهم كل الحذر.

قوله: (فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ إِمَامٌ وَلَا جَمَاعَةٌ؟) أي: فإن كانوا متفرقين مختلفين ليس لهم جماعة ولا إمام يجتمعون عليه، بل كل مجموعة قد اتخذت لها رأساً.

قوله: (فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا) لا تدخل مع فرقة منها، بل اعتزل هذه الجماعات الضالة ولا تنخدع بها ولو بقيت وحدك على الكتاب والسنة.

قوله: (وَأَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ... إلخ) تصبر على اعتزال هذه الجماعات المخالفة تثبت على الحق لو أوذيت وشردت حتى لم تجد من شدة العزلة إلا أن تعض على أصل شجرة حتى لا يحرك أحد إليه[١].



(١) انظر شرح الحديث في البخاري ومسلم، وانظر «شرح فضل الإسلام» للشيخ الفوزان (ص ١٢٩-١٣٦)، و«الإعلام بشرح فضل الإسلام» (ص ١٨٨-١٩٤) وغيرها.

(٣٨) ٨٣- **عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا أَلْبَسَتْكُمْ فِتْنَةٌ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَنْشَأُ فِيهَا الصَّغِيرُ، تَجْرِي عَلَى النَّاسِ يَتَخِذُونَهَا سُنَّةً، إِذَا غُيِّرَتْ قِيلَ: هَذَا مُنْكَرٌ؟»(١).

وسيكرر برقم (٢٦١)، ونشرحه هناك لأن لفظه أتم من هاهنا



(١) صحيح.

بَابُ إِحْدَاثِ الْبِدَعِ(١)

(٣٩) ٨٩- **عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ**، قَالَ: كَانَ عِنْدَنَا فَتًى يُقَاتِلُ وَيَشْرَبُ، وَذَكَرَ أَشْيَاءَ مِنَ الْفِسْقِ، ثُمَّ إِنَّهُ تَقَرَّأَ فَدَخَلَ فِي التَّشَيُّعِ، فَسَمِعْتُ حَبِيبَ بْنَ أَبِي ثَابِتٍ وَهُوَ يَقُولُ: «لَأَنْتَ يَوْمَ كُنْتَ تُقَاتِلُ وَتَفْعَلُ مَا تَفْعَلُ خَيْرٌ مِنْكَ الْيَوْمَ»(٢).

التعليق:

هذا الأثر شبيه بما روي عن سفيان الثوري رحمه الله تعالى أنه قال: «البدعة أحب إلى إبليس من المعصية»، رواه الحميدي وسنده ضعيف.

والبدعة في الجملة أشد من المعصية من وجوه كثيرة، منها:

الأول: أن البدعة إحداث في الدين لم يشرعه الله تعالى، وصاحبه ينسبه إلى الدين، وأما المعصية فهو لا ينسبها إلى الدين، بل يُقِرُّ أنه عاصٍ.

الثاني: صاحب البدعة لا يعترف أنه مخطئ، فلذلك قَل من يتوب منهم، وصاحب الكبيرة مُقِرٌّ بخطئه ويريد أن يتوب.

الثالث: المبتدع يكذب على الله تعالى وعلى رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدَّعي أنما يدعو إليه من البدع شرعها الله تعالى ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بخلاف العاصي لا يقول ذلك.

الرابع: المبتدع يدعو الناس إلى البدع فيقتدي به أناس ويتعبدون الله بالبدع، أما العاصي فهو ممقوتٌ عندهم. وانظر «الفتاوى» (٢٠/١٠٣-١٠٥).

---

(١) معناه: خطر إحداث البدع وأنها أشد من المعاصي في الجملة.

(٢) ضعفه البدر وصححه غيره.

تنبيه:

البدعة أشد أو أضر من المعصية في الجملة، أما عند التفصيل فيقدر لكل شيء قدره حسب الأدلة الشرعية[1].



(١) وانظر «شرح فضل الإسلام» للفوزان (ص ٨٥)، «الإعلام» (ص ١٤٦)، «حقيقة البدعة» للغامدي (٢/ ٢٠٩) ط: الرشد.

بَابُ تَغَيُّرِ الْبِدَعِ

(٤٠) ٩٣- عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ قَالَ: «مَا أَحْدَثَ قَوْمٌ بِدْعَةً فِي دِينِهِمْ إِلَّا نَزَعَ اللهُ مِنْ سُنَّتِهِمْ مِثْلَهَا، ثُمَّ لَمْ يُعِدْهَا إِلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»(١).

التعليق:

(باب تغيير البدع) معناه: ذكر ما جاء أن البدع تغير وتمحو السنن عند من يقبلها.

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله تعالى: «فالبدع لا خير فيها، ولا حدثت بدعة إلا رفع مثلها من السنة... فالبدع لا يتساهل في شأنها أبداً، لأنها خطر على الدين، وخطر على المسلمين، وبها يزول الدين شيئاً فشيئاً، وتحل محله البدع، وهذا ما يريده شياطين الإنس والجن أن يزحزحوا الناس عن السنن إلى البدع...»، «شرح فضل الإسلام» (٨١/ ٨٢).

والقوم إذا أحدثوا بدعة في أيِّ مجال من مجالات العبادة فإنهم سينشغلون بالعمل بالبدعة، ويؤدي ذلك إلى الانشغال والتساهل في العمل بالسنة حتى تندثر عندهم السنة.

ومثال ذلك: بدعة المولد ليلة سبعة وعشرين من رمضان، فإنهم يسهرون في هذه البدعة ثم يتركون السنة وهي قيام هذه الليلة أو أكثرها كما فعل النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وهذه قاعدة أغلبية في البدع وغيرها: (أن من أقبل على المحذور ابتلي بترك المأمور)، فمن أنفق ماله في الحرام لم يوفق للإنفاق في المأمور، ومن سهر أول الليل وما بعده غالباً ينام عن صلاة الفجر، ومن أقبل على البدع نفر من السنن وأهلها... وهكذا.

---

(١) صحيح. ورواه الدارمي (٩٩) واللالكائي (١/ ٩٣) وغيرهما.

وقوله: (ثُمَّ لَمْ يُعِدْهَا إِلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ) هذا من باب الزجر، أو يكون أزماناً، وإلا فإن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس المئة من يجدد لها دينها، كما في الحديث الذي رواه أبو داود عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



(٤١) ٩٤- **عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الدَّيْلَمِيِّ** قَالَ: «مَا ابْتُدِعَتْ بِدْعَةٌ إِلَّا ازْدَادَتْ مُضِيًّا، وَلَا تُرِكَتْ سُنَّةٌ إِلَّا ازْدَادَتْ هَرَبًا»(١).

التعليق:

أي: ما أحدث بدعة ازدادت انتشاراً مع مضي الأيام والسنين، ولا تركوا العمل بسنة إلا كان من بعدهم أشد لها تركاً، وتأويل هذا كسابقه، فإنه ليس على إطلاقه.



(١) صحيح. ورواه اللالكائي (١/ ٩٣).

(٤٢) ٩٧- **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «مَنْ أَحْدَثَ رَأْيًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ وَلَمْ تَمْضِ بِهِ سُنَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَدْرِ عَلَى مَا هُوَ مِنْهُ إِذَا لَقِيَ اللهَ»(١).

التعليق:

هذا الأثر فيه التحذير من البدع، وأن من أحدث ما ليس في الكتاب والسنة لم يدر إذا لقي الله تعالى على ما هو منه، أعلى نجاة أم على هلاك؟

والمراد أنه مغامر بنفسه إلى الخطر ومعرِّضٌ نفسه لغضب الله تعالى وعذابه في سقر.



(١) صحيح إذا سلم من الانقطاع.

مَا جَاءَ فِي اتِّبَاعِ الْآثَارِ(١)

(٤٣) ١٠٤- **عن معرور بْنِ سُوَيْدٍ الْأَسَدِيِّ** قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا صَلَّى بِنَا الْغَدَاةَ، ثُمَّ رَأَى النَّاسَ يَذْهَبُونَ مَذْهَبًا فَقَالَ: أَيْنَ يَذْهَبُ هَؤُلَاءِ؟ قِيلَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَسْجِدٌ صَلَّى فِيهِ رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُمْ يَأْتُونَ يُصَلُّونَ فِيهِ، فَقَالَ: «إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِمِثْلِ هَذَا، يَتَّبِعُونَ آثَارَ أَنْبِيَائِهِمْ فَيَتَّخِذُونَهَا كَنَائِسَ وَبِيَعًا، مَنْ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فِي هَذِهِ المَسَاجِدِ(٢) فَلْيُصَلِّ، وَمَنْ لَا فَلْيَمْضِ، وَلَا يَعْتَمِدْهَا»(٣).

(٤٤) ١٠٥- عَنِ المَعْرُورِ، قَالَ: خَرَجْنَا حُجَّاجًا مَعَ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فَعَرَضَ لَنَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ مَسْجِدٌ، فَابْتَدَرَهُ النَّاسُ يُصَلُّونَ فِيهِ، فَقَالَ عُمَرُ: مَا شَأْنُهُمْ؟ فَقَالُوا: هَذَا مَسْجِدٌ صَلَّى فِيهِ رَسُول الله ﷺ، فَقَالَ عُمَرُ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ باتِّبَاعِهِمْ مِثْلَ هَذَا، حَتَّى أَحْدَثُوهَا بِيَعًا، فَمَنْ عَرَضَتْ لَهُ فِيهِ صَلَاةٌ فَلْيُصَلِّ، وَمَنْ لَمْ تَعْرِضْ لَهُ فِيهِ صَلَاةٌ فَلْيَمْضِ»(٤).

التعليق:

الآثار لغة: جمع أثر، وهو بقية الشيء، أو ما بقي من رسم الشيء...

والمراد هنا: المشاهد التي جرى للنبي صلى الله عليه وسلم حادثة بها كغار حراء وجبل الرماة، جبل أحد، والشجرة التي وقعت تحتها بيعة الرضوان، ومكان معركة بدر...

---

(١) راجع للمسألة: «شفاء الصدور في حكم زيارة المشاهد والقبور» للكرمي (٢٩٧-٣١٥).

وانظر كتاب «الآثار والمشاهد» للجفير.

(٢) في نسخة: [هذا المسجد].

(٣) صحيح. وأخرجه عبد الرزاق (٢٧٣٤).

(٤) صحيح.

ونحو ذلك مما جرى لمشاهير الصحابة والعلماء والزعماء...

ومعنى الباب: باب ما جاء في كراهية تتبع الآثار [التي لم يرد في تتبعها دليل] لأن ذلك ذريعة إلى البدع والشرك، وسد الذرائع قاعدة شرعية صحيحة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «تبين لنا أن هذا كله من البدع المحدثة التي لا أصل لها في الشريعة، وأن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار لم يفعلوا شيئًا من ذلك، وأن أئمة العلم والهدى ينهون عن ذلك»، «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص ٤٢٩).

والقول بكراهة ذلك هو قول جمهور الصحابة والعلماء.

قوله: (يَذْهَبُونَ مَذْهَبًا) إلى جهة معينة.

وقوله: (يُصَلُّونَ فِيهِ) أي: تبركاً به، أو ظناً منهم أن ذلك قربة.

قوله: (إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ) من الأمم السابقة من لدن قوم نوح عليه السلام إلى زمن اليهود والنصارى. فهذه الفتنة عمَّت الأمم.

قوله: (يَتَّبِعُونَ آثَارَ أَنْبِيَائِهِمْ) أي: يتعمدون تتبعها تعبداً بذلك أو لقصد البركة.

قوله: (كَنَائِسَ) معابد النصارى، (معابد) معابد اليهود.

قوله: (مَنْ أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ... إلخ) بيان أن الخطر إنما هو في قصد هذه الآثار وتخصيصها بالعبادة دون دليل، لأن ذلك يؤدي إلى تعظيمها ثم إلى وقوع الشرك والبدع.

أما إذا كان بدون قصد وإنما كان ذلك ضمن طريقه ونحو ذلك فلا بأس.



قَالَ ابْنُ وَضَّاحٍ: وَكَانَ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَغَيْرُهُ مِنْ عُلَمَاءِ الْمَدِينَةِ يَكْرَهُونَ إِتْيَانَ تِلْكَ الْمَسَاجِدِ وَتِلْكَ الْآثَارِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا عَدَا قُبًّا وَأُحدًا(١).

قَالَ ابْنُ وَضَّاحٍ: وَسَمِعْتُهُمْ يَذْكُرُونَ أَنَّ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ دَخَلَ مَسْجِدَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَصَلَّى فِيهِ وَلَمْ يَتَّبِعْ تِلْكَ الْآثَارَ وَلَا الصَّلَاةَ فِيهَا، وَكَذَلِكَ فَعَلَ غَيْرُهُ أَيْضًا مِمَّنْ يُقْتَدَى بِهِ.

وَقَدِمَ وَكِيعٌ أَيْضًا مَسْجِدَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَلَمْ يَعْدُ فِعْلَ سُفْيَانَ.

قَالَ ابْنُ وَضَّاحٍ: فَعَلَيْكُمْ بِالِاتِّبَاعِ لِأَئِمَّةِ الْهُدَى الْمَعْرُوفِينَ؛ فَقَدْ قَالَ بَعْضُ مَنْ مَضَى: كَمْ مِنْ أَمْرٍ هُوَ الْيَوْمَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ كَانَ مُنْكَرًا عِنْدَ مَنْ مَضَى، وَمُتَحَبِّبٌ إِلَيْهِ بِمَا يُبْغِضُهُ عَلَيْهِ، وَمُتَقَرَّبٌ إِلَيْهِ بِمَا يُبْعِدُهُ مِنْهُ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ عَلَيْهَا زِينَةٌ وَبَهْجَةٌ(٢).

التعليق:

هو كسابقه، وانظر «عقيدة التوحيد» (ص ٢٣٤).

وقوله: (وَمُتَحَبِّبٌ إِلَيْهِ بِمَا يُبْغِضُهُ عَلَيْهِ...) يريد: أن عمل البدعة وإن أراد بها صاحبها التحبب إلى الله، أو إلى الناس لا يحصل له ذلك، بل هو مبغوض ومبعد بسبب بدعته.

وقوله: (كل بدعة عليها زينة وبهجة) فلذلك ينخدع بها كثيرٌ من الناس، فبدعة الخوارج والحزبيين زينتها (محاربة الظلم) وبدعة المعتزلة والمعطلة زينتها، (تنزيه الله) وبدعة الصوفية زينتها (الزهد)، (وَكُلُّ بِدْعَةٍ عَلَيْهَا زِينَةٌ وَبَهْجَةٌ) وبدعة الرفض زينتها (حب أهل البيت) ... وهكذا دعاوى ماكرة خطيرة.



---

(١) خص قباء وأحد لورود الأدلة في ذلك، وأما ما لم يدل عليه دليل فيكره؛ لأنه من جملة المحدثات.

(٢) قوله: (... كان منكراً) سيأتي شرحه عند رقم (٢٦١).

(٤٥) ١٠٩- عَنِ ابْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قِرَاءَةِ ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ﴾ مِرَارًا فِي رَكْعَةٍ، فَكَرِهَ ذَلِكَ، وَقَالَ: «هَذَا مِنْ مُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ الَّتِي أَحْدَثُوهَا»(١).

التعليق:

وهذه البدعة اشتهرت في صلاة الرغائب، وسيأتي ذكرها في بابها، ووجه كونها بدعة لأنه لا دليل على هذا التكرار في الصلاة، وعندنا ميزان: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» أي: مردود. وكأني بالمبتدعة يقولون: ماذا في القرآن؟!

والجواب: لم نَقُل قراءة القرآن بدعة، إنما البدعة هذا التخصيص والفعل الذي عملتموه برأيكم دون دليل، فدعوا التلبيس واقبلوا الحق.



(١) صحيح.

(٤٦) ١١٠- **عَنِ الشَّعْبِيِّ**، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ كَانَ يَضْرِبُ الرَّجَبِيِّينَ، الَّذِينَ يَصُومُونَ رَجَبَ كُلَّهُ»[(١)].

التعليق:

رجب سمي رجباً لأنه كان يرجَّب في الجاهلية، أي: يُعظَّم.

لم يرد في فضل رجب ولا في صيامه وفي صيام شيء معين منه ولا في قيام ليلة مخصوصة فيه حديث يصلح للحجية، جزم بذلك الهروي وغيره ... «تبيين العجب بما ورد في شهر رجب» للحافظ ابن حجر (ص ٢٣) ط: قرطبة.

فمن خص رجب بصيام تعظيماً له أو خصه بصيام غير ما اعتاده من الصيام في غيره فقد وقع في البدعة ...

ولا يدخل في ذلك الصيام المعتاد كصيام الاثنين والخميس لمن اعتاد ذلك[(٢)].

وهكذا من خص صيام أول يوم من رجب فهي بدعة، «المنتقى» للفوزان (١/ ٣٣).

وهكذا مواصلة رجب مع شعبان مع رمضان بصيام محدث. «فتاوى اللجنة» رقم (٥١٦٩).

ومن البدع المنكرة في رجب: الاجتماع في أول جمعة في مسجد الجند، وصلاة الرغائب في أول ليلة من رجب بدعة[(٣)].



(١) صحيح وله طرق. وأخرجه ابن أبي شيبة (٣/ ١٠٢) بلفظ: عن خرشة بن الحر قال: رأيت عمر يضرب أكف الناس في رجب حتى يضعوها في الجفان، ويقول: كلوا، فإنما هو شهر كان يعظمه أهل الجاهلية.

(٢) «تبيين العجب» (ص ٧٠)، «البدع والمحدثات وما لا أصل له» (ص ٥٣٣-٥٣٥).

(٣) انظر: «المجموع الفريد من كلام علماء السلف والخلف في الصوفية» (ص ١١٨)، «الفتاوى لابن تيمية» (٢٥/ ٣٩١)، «البدع والحوادث» للطرطوشي (ص ١٠٤) ط: المؤيد.

(٤٧) ١١١- **وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ حَسَّانَ:** كُنْتُ أَقْرَأُ عَلَى ابْنِ نَافِعٍ كُتُبَهُ، فَلَمَّا مَرَرْتُ بِحَدِيثِ التَّوْسِعَةِ لَيْلَةَ عَاشُورَاءَ قَالَ لِي: حَوِّقْ عَلَيْهِ، قُلْتُ: وَلِمَ ذَلِكَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: خَوْفًا مِنْ أَنْ يُتَّخَذَ سُنَّةً(١).

التعليق:

أثر سعيد بن حسان: الاحتفال بليلة عاشوراء والتوسعة على الأهل فيها بقصد مخالفة الرافضة يعتبر من البدع.

والبدعة لا يُرد عليها ببدعة، بل بالحق، ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [سورة الإسراء:٨١].

وهؤلاء المحتفلون إما نواصب وإما جُهَّال، ولم يقتصر الأمر على ذلك حتى وضعوا الأحاديث في تقوية هذه البدعة.

قال شيخ الإسلام: «لم يرد في ذلك حديث صحيح عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا عن أصحابه، ولا أستحب ذلك أحدٌ من أئمة المسلمين ...

وإنما حصلت هذه البدع يوم عاشوراء، لأن الكوفة كان فيها طائفتان: طائفة رافضة يظهرون موالاة أهل البيت، وهم في الباطن إما ملاحدة زنادقة، وإما جُهَّال وأصحاب هوى، وطائفة ناصبة تبغض علياً وأصحابه لما جرى من القتال في الفتنة ما جرى، فوضعت الآثار في الاحتفال بعاشوراء لما ظهرت العصبية بين الناصبة والرافضة،

---

(١) حسن. وقوله: (حَوِّقْ) أي: حكه أو ضع عليه دائرة حتى يكون ملغى بهذه العلامة.

والحديث المشار إليه هو: «من وسع على عياله ليلة عاشوراء وسع الله عليه سنته كلها»، حديث موضوع وله طرق وشواهد واهية.

فإن هؤلاء اتخذوا يوم عاشوراء مأتماً، فوضع أولئك آثاراً تقتضي التوسع فيه واتخاذه عيداً، وكلاهما باطل، فهؤلاء فيهم بدع وضلال، وأولئك فيهم بدع وضلال وإن كانت الشيعة أكثر كذباً وأسوأ حالاً.(١)



(١) «الفتاوى الكبرى» (٢/ ٢٩٥)، «الفتاوى» (٢٥/ ٢٩٩-٣٠١)، «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٦٢٢-٦٢٣)، «الأعياد وأثرها على المسلمين» (٢٧٣-٢٧٦).

(٤٨) ١١١ - **قَالَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى:** لَقَدْ كُنْتُ بِالمَدِينَةِ أَيَّامَ مَالِكٍ وَدريه، وَبِمِصْرَ أَيَّامَ اللَّيْثِ وَابْنِ الْقَاسِمِ وَابْنِ وَهْبٍ، وَأَدْرَكَتْنِي تِلْكَ اللَّيْلَةُ مَعَهُمْ، فَمَا سَمِعْتُ لَهَا عِنْدَ وَاحِدٍ مِنْهُمْ ذِكْرًا، وَلَوْ ثَبَتَ عِنْدَهُمْ لَأَجْرَوْا مِنْ ذِكْرِهَا مَا أَجْرَوْا مِنْ سَائِرِ مَا ثَبَتَ عِنْدَهُمْ.

التعليق:

قوله: (لَأَجْرَوْا مِنْ ذِكْرِهَا...) أي: أشاعوا الحديث عنها ورغبوا الناس، ولكن لما لم يثبت لم يذكروها.



مَا جَاءَ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ[(١)]

(٤٩) ١١٢ - **عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ**، قَالَ: «لَمْ أُدْرِكْ أَحَدًا مِنْ مَشْيَخَتِنَا وَلَا فُقَهَائِنَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، وَلَمْ نُدْرِكْ أَحَدًا مِنْهُمْ يَذْكُرُ حَدِيثَ مَكْحُولٍ، وَلَا يَرَى لَهَا فَضْلًا عَلَى مَا سِوَاهَا مِنَ اللَّيَالِي».

قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ[(٢)]: «وَالْفُقَهَاءُ لَمْ يَكُونُوا يَصْنَعُونَ ذَلِكَ[(٣)]».

التعليق:

قوله: (حديث مكحول) انظره في كتاب «حسن البيان فيما ورد في ليلة النصف من شعبان».

قال أبو شامة رحمه الله تعالى: قال الحافظ ابن دحية: قال أهل التعديل والتجريح: ليس في النصف من شعبان حديث يصح ... «الباعث» (ص ١٢٧).

وقال القرطبي رحمه الله تعالى: «وليس في ليلة النصف من شعبان حديث يعول عليه، لا في فضلها ولا في نسخ الآجال فيها، فلا تلتفتوا إليه»، «تفسيره» (١٦/ ١٢٨).

وقال ابن العربي رحمه الله تعالى: «ليس في ليلة النصف من شعبان حديث يساوي سماعه»، «عارضة الأحوذي» (٣/ ٢٧٥).

وأما قول بعضهم: تستحب، واستدلوا بأحاديث ضعيفة وآثار إسرائيلية، كما نقله الحافظ ابن رجب. «لطائف المعارف» (ص ١٤٤).

---

(١) معناه: ذكر ما جاء من الذم والتحذير لما ابتدع في ليلة النصف من شعبان.

(٢) وهو سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن أبى زيد ، أبو زيد الأنصاري النحوي البصري المولد ١٢١ هـ من صغار أتباع التابعين، صدوق له أوهام، و رميَ بالقدر. أ.هـ

(٣) صحيح الإسناد. وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٥١٢) وابن حبان (٥٦٦٥) وغيرهما.

وأما جمهور العلماء سلفاً وخلفاً فلا يلتفتون إلى تخصيص هذه الليلة بشيء، بل صرحوا أن الاحتفال أو تخصيصها بقيام أو صيام أو صدقة أو اعتقاد فضلها كله من البدع.

قال النووي **رحمه الله** تعالى: «وهاتان – أي: صلاة الرغائب وصلاة النصف من شعبان- الصلاتان بدعتان مذمومتان منكرتان قبيحتان، ولا يغتر بذكرهما في كتاب قوت القلوب»...اهـ

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «ومن الأحاديث الموضوعة أحاديث صلاة ليلة النصف من شعبان، وهذه الصلاة وُضِعت في الإسلام بعد الأربع مئة»، «المنار المنيف» (ص ٩٨)(١).



(١) وانظر للمزيد: «الحوادث والبدع» (ص ١٠٠-١٠٣)، «أضواء البيان» (٧/ ٢١٨-٢١٩)، «الأعياد وأثرها على المسلمين» (ص ٣٦٩-٣٨٠)، «البدع والمحدثات وما لا أصل له» (ص ٥٩٥-٦٠٤).

(٥٠) ١١٣- **عَنْ مَعْمَرٍ**، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: قِيلَ لَهُ: إِنَّ زِيَادًا النُّمَيْرِيَّ يَقُولُ: إِنَّ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ أَجْرُهَا كَأَجْرِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، فَقَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: «لَوْ سَمِعْتُهُ مِنْهُ وَبِيَدِي عَصًا لَضَرَبْتُهُ بِهَا». وَكَانَ زِيَادٌ قَاصًّا[1].

التعليق:

هذا الأثر فيه ضرب أهل البدع إذا تحققت المصلحة عند إعلانهم بالبدع من قِبَل ولاة الأمر ومن فوض الأمر إليهم من المحتسبين.

وفيه: المبالغة في ذم البدع وإهانة أهلها.

وفيه: مشروعية جرح المُعَيَّن وتسميته.

وفيه: ذم القُصَّاص، كما تقدم في بابه.

وفيه: الرد على أهل البدع وبيان زيف بدعهم.



(١) صحيح. رواه عبد الرزاق (٤/ ٣١٧-٣١٨) عن معمر به.

كَرَاهِيَةُ اجْتِمَاعِ النَّاسِ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ(١)

(٥١) ١١٥- **عَنِ ابْنِ عَوْنٍ**، قَالَ: شَهِدْتُ إِبْرَاهِيمَ النَّخَعِيَّ سُئِلَ عَنِ اجْتِمَاعِ النَّاسِ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ، فَكَرِهَهُ وَقَالَ: «مُحْدَثٌ»(٢).

التعليق:

قوله: (مُحْدَثٌ) أي: بدعة.

وقد حكى جمعٌ كبير من السلف بدعية هذا الاجتماع، لأنه ليس من هدي النبي صلى الله عليه وسلم: «وكل محدثة بدعة».

قال الطرطوشي رحمه الله تعالى: «فاعلموا – رحمكم الله- أن هؤلاء الأئمة علموا فضل الدعاء يوم عرفة، ولكن علموا أن ذلك بموطن عرفة، لا في غيرها، ولا منعوا من خلا بنفسه فحضرته نية صادقة أن يدعو الله تعالى، إنما كرهوا الحوادث في الدين، وأن يظن العوام أن من سنة يوم عرفة بسائر الآفاق الاجتماع للدعاء، فيتداعى الأمر إلى أن يدخل في الدين ما ليس منه»، «الحوادث والبدع» (ص ٩٩).

وأما حديث (خير الدعاء يوم عرفة) ففيه مقال، وعلى صحته فهو للحاج، ومن دعا لنفسه من غير الحجاج أرجو أن لا بأس به، لكن الاجتماع هو الذي أنكره السلف.



(١) هذا الباب ظاهر في الإنكار على هذه البدعة وهي: الاجتماع ليلة عرفة للدعاء في المسجد أو في مكان معلوم.

(٢) صحيح.

(٥٢) ١١٦- عَنْ أَبِي وَائِلٍ: «أَنَّهُ كَانَ لَا يَأْتِي الْمَسْجِدَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ»(١).

(٥٣) ١٧- عَنْ سُفْيَانَ قَالَ: «لَيْسَتْ عَرَفَةُ إِلَّا بِمَكَّةَ، لَيْسَ فِي هَذِهِ الْأَمْصَارِ عَرَفَةُ»(٢).

التعليق:

أثر أبي وائل: مراد هذا الإمام من ترك إتيان المسجد حتى لا يظن العامة أنه ممن حضر من أجل عرفة - كما يفعله المبتدعة - فترك الحضور حتى لا يقتدي بحضوره الجهال.

وقوله: (كَانَ لَا يَأْتِي الْمَسْجِدَ...) معناه: كان يصلي العصر ثم ينصرف فلا يرجع إلا لصلاة المغرب، وليس معناه أنه كان لا يشهد صلاة الجماعة.

أثر سفيان: أي: ليس من سنة يوم عرفة - في غير مكة – الاجتماع للدعاء ونحو ذلك، فليس في ذلك دليل.



(١) صحيح.

(٢) صحيح.

(٥٤) ١١٨- **عَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي عِيسَى**: أَنَّ نَافِعًا كَرِهَ الصِّياحَ مَعَ الْإِمَامِ حِينَ يَقْرَأُ مِثْلَ قَوْلِهِ: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات:٢٤]، وَمِثْلَ قَوْلِهِ: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص:٣٨]. قَالَ سُفْيَانُ: إِنَّمَا يُنْصِتُ(١).

التعليق:

الصياح عند سماع مثل هذه الآيات بدعة لا تُعرف عن السلف، وإنما كان هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السماع والإنصات، كما في حديث ابن مسعود أنه قرأ على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سورة النساء حتى بلغ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [سورة النساء:٤١] الآية. فالتفت فإذا عيناه تذرفان. متفق عليه.

ومن البدع -أيضاً- أن ترى بعضهم عند سماع القارئ يردد: الله الله.

نعوذ بالله تعالى من الجهل والخذلان!



---

(١) صحيح.

النَّهْيُ عَنِ الْجُلُوسِ مَعَ أَهْلِ الْبِدَعِ وَخُلْطَتِهِمْ وَالْمَشْيِ مَعَهُمْ[(١)]

(٥٥) ١٢٢ - عَنْ كَثِيرِ بنِ سعدٍ قَالَ: «مَنْ جَلَسَ إِلَى صَاحِبِ بِدْعَةٍ نُزِعَتْ مِنْهُ الْعِصْمَةُ، وَوُكِلَ إِلَى نَفْسِهِ»[(٢)].

التعليق:

ذكر المؤلف في هذا الباب آثاراً فيها اجتناب أهل البدعة، والأدلة على ذلك كثيرة في كتاب الله تعالى وفي سنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ...﴾ [سورة آل عمران:٧]، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم»، متفق عليه.

فتبين من هذا وغيره أن منابذة أهل البدع والبعد عنهم والتحذير منهم من أصول الدين العظيمة المهمة.

والإجماع قائم على مشروعية هجر أهل الأهواء ووجوب التحذير منهم، نقل الإجماع الأوزاعي وابن بطة والفضيل بن عياض وغيرهم.

قوله: (نُزِعَتْ مِنْهُ الْعِصْمَةُ) معناه: أن المتمسك بالسنة يعتبر في حصن حصين وفي حماية الله رب العالمين من الفتن، فإذا جالس المبتدعة فقد ترك الحصن وفارق الحفظ الإلهي، فصار معرضاً للعطب والوقوع في البدعة.

قوله: (وَوُكِلَ إِلَى نَفْسِهِ) وإذا وكل إلى نفسه الضعيفة هلك.

---

(١) انظر: «إجماع العلماء» (ص ٨٤) وما بعدها، ورسالة للشارح «إقامة الحجة والدليل على خطأ من خلط الغيبة بالجرح والتعديل».

(٢) صحيح. وفي نسخة: كثير أبي سعد.

و في مجالسة أهل البدع مفاسد على من جالسهم،

منها:

١- ورود الشُّبه عليه حتى تلتبس ويصعب عليه دفعها، فيصير في شك من أمرهم، وربما انغمس في ضلالاتهم، كما ذكر أبو قلابة، وانظر إلى هذا الحديث الذي رواه أبو داود (١١/ ٤٤٢) عن عمران رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من سمع بالدجال فلينأ عنه، فوالله إن الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث عليه من الشبهات»، وفي رواية: «مما يرى من الشبهات».

قال شيخنا رحمه الله تعالى في جامعه (١/ ٢٨٤): «البعد عن الشبهات التي يخاف على الإيمان منها».

٢- أن في مجالسة أهل البدع مخالفة لأمر الله تعالى بترك مجالستهم، وكذلك أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالحذر منهم، ومخالفة لسبيل السلف الصالح وإجماعهم -كما سبقت الأدلة- وهذه المخالفة باب فتنة، قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [سورة النور:٦٣] الآية. وهذا ظاهر، فإن غالب من يجالس أهل البدع هم المفتونون والمذبذبون، وهم همزة الوصل بن المبتدعة وعامة الناس، كفانا الله شرهم.

٣- أن مجالسة أهل البدع تجلب محبتهم واللين معهم، وذلك مخالف لما أمر الله تعالى به من بغض أهل الباطل والشدة عليهم والبراءة منهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام:١٥٩]، وسيأتي الحديث: «المرء على دين خليله»، والآثار بعده.

٤- أن مجالسة أهل البدع مضرة بأهل البدع أنفسهم، فإن مجالستهم وتوقيرهم وتكثير سوادهم يزين لهم الاستمرار في بدعهم، وإنما شرع الهجر والزجر حتى يرتدعوا ويتوبوا كما يفهم من قصة كعب بن مالك الطويلة.

٥- أن مجالستهم دعوة إلى بدعهم، فإن العامة عند أن يروا العالم أو السني يجالسهم يحسنون بهم الظن، ولذلك نهى الله تعالى عن مجالسة أهل الباطل فقال: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [سورة النساء:١٤٠]، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [سورة الأنعام:٦٨]، ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [سورة الفرقان:٧٢].

٦- أن مجالسة أهل البدع سببٌ لسوء الظن بمن جالسهم ولو كان سنياً، قال القحطاني رحمه الله تعالى:

لا يصـــحب البـــدعيَّ إلا مثلُـــه ... تحـــت الـــدخان تـــأججُ النـــيران

وقد شبَّه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جليس السوء بنافخ الكير «إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً منتنة»، والقدح فيمن جالسهم من آثار ريح المبتدع النتنة(١).



(١) انظر: «إجماع العلماء» (ص ٥٥)، «موقف أهل السنة من أهل الأهواء» (٢/ ٥٥٠-٥٥٣)، «منهج أهل السنة في نقد الرجال» للشيخ ربيع (ص ١٥٨) ط: المنار.

(٥٦) ١٢٤- **عَنْ يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ** قَالَ: «إِذَا لَقِيتَ صَاحِبَ بِدْعَةٍ فِي طَرِيقٍ فَخُذْ فِي طَرِيقٍ آخَرَ»(١).

(٥٧) ١٢٥- عَنْ أَبِي قِلَابَةَ قال: «لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ، وَلَا تُجَادِلُوهُمْ؛ فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ، أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ».

قَالَ أَيُّوبُ: وَكَانَ -وَاللهِ- مِنَ الْفُقَهَاءِ ذَوِي الْأَلْبَابِ(٢).

التعليق:

أثر يحيى: وهذا يحتمل معنيين، أظهرهما: أن هذا من باب الزجر لهم والمبالغة في مجانبتهم، وترك السلام عليهم.

والثاني: الابتعاد عنهم خشية الافتتان بهم.

أثر أبي قلابة: هذا الأثر عظيم الموقع، وقد أشاد به العلماء في مصنفاتهم وتناقلوه وشهروه، وقد تضمن أمرين:

الأول: التحذير من مجالسة المبتدعة.

الثاني: التحذير من مجادلتهم.

ثم ذكر أن ذلك مدعاة للانغماس في ضلالتهم، أو تلبيس الحق على أهله حتى يشككوهم فيه، وكلاهما مفسدة عظيمة.

وأما جدال أهل البدع فإن الأصل النهي عن ذلك، والأدلة في ذلك كثيرة، ويستثنى منه جدال من يرجى رجوعه إلى الحق كما فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع عبد الله بن سلام ومع حصين والد عمران، قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [سورة النحل:١٢٥].

---

(١) صحيح. وأخرجه الآجري (ص ٦٤) وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٩٦).

(٢) صحيح. وأخرجه اللالكائي (١/ ١٣٤) والآجري (ص ٥٦) وغيرهما.

وأما جدال أهل العناد فإن اضطر إلى ذلك –وهو أهلٌ- فلا بأس، كما فعل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ ذلك مع نفر من اليهود، ومع نفر من كفار قريش.

وقال الإمام النووي **رحمه الله** تعالى: «فإن كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره كان محموداً، وإن كان في مدافعة الحق أو كان جدلاً بغير علم كان مذموماً، وعلى هذا التفصيل تنزل النصوص الواردة في إباحته وذمه»، «الأذكار» (ص ٣٣٠).



(٥٨) ١٢٦ - عَنِ الْعَوَّامِ بْنِ حَوْشَبٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لِابْنِهِ: «يَا عِيسَى، أَصْلِحْ اللهُ قَلْبَكَ، وَأَقِلَّ مَالَكَ». وَكَانَ يَقُولُ: «وَاللهِ، لَأَنْ أَرَى عِيسَى يُجَالِسُ أَصْحَابَ الْبَرَابِطِ، وَالْأَشْرِبَةِ، وَالْبَاطِلِ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَرَاهُ يُجَالِسُ أَصْحَابَ الْخُصُومَاتِ[١]، يَعْنِي: أَهْلَ الْبِدَعِ»[٢].

التعليق:

قوله: (... وَأَقِلَّ مَالَكَ) لأن المال في الجملة فتنة.

قوله: (لَأَنْ أَرَى عِيسَى... إلخ) يعني: هذا أهون من مجالسة المبتدعة، وإن كان مجالسة هؤلاء الفاسدين شر وخطر على المسلم، إلا أن مجالسة المبتدع أضر وأخطر، كما سبق في باب إحداث البدع برقم (٨٩) أثر ابن عباس، فراجعه.

(والبرابط) العود للأغاني والملاهي، (والأشربة) الخمور.



---

(١) صحيح.

(٢) القائل ابن وضاح كما في «الاعتصام» (١/ ٨٤)، [كذا قال البدر].

(٥٩) ١٢٩- **عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»(١).

التعليق:

قوله: (الرَّجُلُ) الإنسان (عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ) على طريقته وسيرته ومتأثر بحاله وتدينه، (فَلْيَنْظُرْ) يتحرى ويتأمل ويحرص، (مَنْ يُخَالِلُ)، فمن رأى صلاحه وتقواه وثباته على الحق صاحبه وجالسه واستفاد منه، ومن رآه على الإلحاد أو البدعة فليحذر منه وليبتعد عنه.



(١) حديث صحيح من طرق صحيحة أخرى، وهو عند أبي داود وصححه الألباني والوادعي.

(٦٠) ١٣١- **عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ** قَالَ: «لَا تُجَالِسْ صَاحِبَ هَوًى؛ فَيَقْذِفَ فِي قَلْبِكَ مَا تَتْبَعُهُ عَلَيْهِ فَتَهْلِكَ، أَوْ تُخَالِفَهُ فَيَمْرَضَ قَلْبُكَ»(١).

التعليق:

يحذر الحسن رحمه الله تعالى من مجالسة المبتدع من أي بدعة كان، رافضة أو صوفية أو معطلة أو ممثلة أو خوارج أو حزبيين أو غيرهم، وجميع أهل البدع، إذ أن الإضافة في سياق النهي تفيد العموم.

قوله: (فَيَقْذِفَ فِي قَلْبِكَ) عن طريق الوسوسة وإلقاء الشبه، وتزيين البدعة تحت شعار: نحن نريد الخير، وغير ذلك من التباكي على الأمة، وغالب رؤساء أهل البدع دهاة أصحاب مكر رهيب، اللهم رد كيدهم في نحرهم!

قوله: (مَا تَتْبَعُهُ عَلَيْهِ فَتَهْلِكَ) تهلك باتباع سبيل المبطلين المؤدي إلى جهنم، «دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم قذفوه فيها».

قوله: (أَوْ تُخَالِفَهُ فَيَمْرَضَ قَلْبُكَ) يعني: بالجدل والتشكيك، فإن صاحب الباطل إن استطاع أن يغمسكم في ضلاله فعل، فإن عجز حرص على تشكيكم في الحق، فاحذروهم وحذروا منهم.



(١) حسن.

(٦١) ١٣٨- **عَنْ أَيُّوبَ** قَالَ: لَقِيَنِي سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ فَقَالَ: أَلَمْ أَرَكَ مَعَ طَلْقٍ؟ قُلْتُ: بَلَى، فَمَا لَهُ؟ قَالَ: لَا تُجَالِسْهُ؛ فَإِنَّهُ مُرْجِئٌ. قَالَ أَيُّوبُ: وَمَا شَاوَرْتُهُ فِي ذَلِك، وَلَكِنْ يَحِقُّ لِلرَّجُلِ الْمُسْلِمِ إِذَا رَأَى مِنْ أَخِيهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ أَنْ يَنْصَحَهُ(١).

التعليق:

قوله: (فَإِنَّهُ مُرْجِئٌ) أي: ممن يقول بالإرجاء، وهي بدعة محدثة معروفة.

ففيه التحذير ممن عُرِف ببدعة، وتسميته باسمه، وتنفير الناس عنه.

قوله: (وَلَكِنْ يَحِقُّ لِلرَّجُلِ... إلخ) لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «الدين النصيحة» الحديث رواه مسلم عن تميم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وقال: «من رأى منكم منكراً فليغيره...» الحديث رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذا من النصيحة ومن تغيير المنكر، وهو رحمة بالمسلم وشفقة عليه، وليس من باب الشماتة به، ولا من باب الغيبة.

والشاهد من الأثر قوله: (لَا تُجَالِسْهُ) التحذير من مجالسة أهل البدع.



---

(١) حسن. ورواه ابن سعد (٧/ ٢٢٨) مختصراً، وطلق هو ابن حبيب الأزدي وكان مرجئاً.

(٦٢) ١٤١- **عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ وَاسِعٍ** قَالَ: رَأَيْتُ صَفْوَانَ بْنَ مُحْرِزٍ وَقَرِيبٌ مِنْهُ شَبَبَةٌ، فَرَآهُمْ يَتَجَادَلُونَ، فَرَأَيْتُهُ قَائِمًا يَنْفُضُ ثِيَابَهُ وَيَقُولُ: إِنَّمَا أَنْتُمْ جَرَبٌ، إِنَّمَا أَنْتُمْ جَرَبٌ(١).

التعليق:

قوله: (شَبَبَةٌ) أي: مجموعة من الشباب حدثاء الأسنان.

قوله: (يَتَجَادَلُونَ) جدلاً مذموماً، ويظهر من قوله: (شببة) أنهم جهال لم يُعرفوا بممارسة العلم زمناً طويلاً، وهذا حال كثير من شبابنا اليوم جدالهم كثير وعلمهم قليل.

قوله: (يَنْفُضُ ثِيَابَهُ) كناية عن استنكاره لما هم عليه.

قوله: (إِنَّمَا أَنْتُمْ جَرَبٌ) الجرب مرض معروف [بثر يعلو أبدان الناس والإبل] معدي، ولذلك يحذر من العدوى لمن خالط المريض به فلا يجالس.

وهذا إنما شبَّه ما هم عليه من الجدل بالجرب، فمن جالسهم مرض بجدالهم، وربما خاض معهم، فهؤلاء يبتعد عنهم ويحذر من مجالستهم.



(١) صحيح. وأخرجه الآجري (ص ٥٨).

بَابٌ: هَلْ لِصَاحِبِ الْبِدْعَةِ تَوْبَةٌ(١)

(٦٣) ١٤٤- **عَنْ يَحْيَى بن أَبِي عَمْرٍو السَّيْبَانِيِّ** قَالَ: كَانَ يُقَالُ: «يَأْبَى اللهُ لِصَاحِبِ بِدْعَةٍ بِتَوْبَةٍ، وَمَا انْتَقَلَ صَاحِبُ بِدْعَةٍ إِلَّا إِلَى شَرٍّ مِنْهَا»(٢).

التعليق:

أي: لا يوفقه للتوبة، فإن ترك البدعة التي هو عليها فإنه يعتنق بدعة شرًّا منها، وذلك زيادة في الضلال، والبدع تستدرج بصغيرها إلى كبيرها، وربما أدت إلى الكفر، ولذلك قيل: البدعة بريد الزندقة.



(١) بعد أن ذكر هجر أهل البدع والتحذير منهم أعقبه بهذا الباب، وهو إذا تاب المبتدع هل يقبل منه ويرفع عنه الهجر وسائر الأحكام المتعلقة بأهل البدع، وهل يعامل معاملة السني؟

وقد يُراد بالباب: أن أهل البدع لا يوفقون للتوبة، إلا ما ندر.

(٢) صحيح.

(٦٤) ١٤٦ - **عِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ** قَالَ: «مَا كَانَ عَبْدٌ عَلَى هَوًى فَتَرَكَهُ إِلَّا إِلَى مَا هُوَ شَرٌّ مِنْهُ»(١).

قَالَ ابنُ شوذب: فَذَكَرْتُ هَذَا الحَدِيثَ لِبَعْضِ أَصْحَابِنَا، فَقَالَ: تَصْدِيقُهُ فِي حَدِيثٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، ثُمَّ لَا يَرْجِعُونَ حَتَّى يَرْجِعَ السَّهْمُ إِلَى فُوقِهِ».

التعليق:

(يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ) المروق: الخروج بسرعة، (الرَّمِيَّةِ) الصيد، وفي رواية: «ثم لا يعودون فيه»، والمعنى: أنهم لا يعودون إلى الحق ولا يتوبون من الباطل.



---

(١) صحيح، والحديث المذكور في الصحيحين عن أبي سعيد نحوه.

(٦٥) ١٤٩- عَنْ أَنسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ حَجَزَ التَّوْبَةَ عَنْ كُلِّ صَاحِبِ بِدْعَةٍ»(١).

التعليق:

الحديث صريح في أن التوبة محجوزة أو محجوبة عن المبتدع لا يوفق لها ما دام مصراً على بدعته، وهذه سمة عامة المبتدعة الذين أشربت قلوبهم بالبدع، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ [سورة الصف:٥] أي: ازدادوا زيغاً وضلالاً حتى يختم لهم بالضلال.

وقد قيل: لا تقبل توبتهم مطلقاً –أي: ولو تابوا– وهذا ضعيف.

والجمهور أن من تاب وصدق تاب الله عليه، والأدلة في التوبة عامة لا تخصص إلا بدليل صحيح.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «قولهم: (الْبِدْعَة لَا يُتَاب مِنْهَا) معناه: أَن المبتدع الَّذِي يتَّخذ ديناً لم يشرعه الله وَرَسُوله قد زين لَهُ سوء عمله فَرَآهُ حسناً، فَهُوَ لَا يَتُوب مَا دَامَ يرَاهُ حسنًا، لِأَن أول التَّوْبَة الْعلم بِأَن فعله سيء ليتوب مِنْهُ، فَمَا دَامَ يرى فعله حسناً وَهُوَ سيء فِي نفس الْأَمر فَإِنَّهُ لَا يَتُوب منه»، «الفتاوى» (١٠/ ٩).

وقال: « إن الله حجز التوبة على كل صاحب بدعة، بمعنى: أنه لا يتوب منها؛ لأنه يحسب أنه على هدى، ولو تاب لتاب الله عليه كما يتوب على الكافر.

ومن قال: إنه لا تقبل توبة مبتدع مطلقاً فقد غلط غلطاً منكراً... فمعلوم أن كثيراً ممن كان على بدعة تبين له ضلالها وتاب الله عليه منها، وهؤلاء لا يحصيهم إلا الله..» (١١/ ٦٨٤).

---

(١) صحيح من طرق أخرى عن أنس، وانظر «الصحيحة» (١٦٢٠)، وصححه شيخنا الوادعي، وفي بعض طرق الحديث زيادة: «حتى يدع بدعته»، وفي رواية: «حجب» بدل «حجز».

وقد يتبين له غلطه وضلال بدعته ولا يتوب منها لهوى في نفسه كحب الرئاسة والمال وغير ذلك، وهذا ظاهر مشاهد، كما قال الله تعالى في اليهود: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ [سورة الأنعام:٢٠]، ولم يؤمنوا حسداً من عند أنفسهم وكبراً وبغياً.

انظر لهذا الباب: «موقف أهل السنة من أهل الأهواء» (١/ ٣١٣-٣٣٨).



قِصَّةُ صَبِيغٍ الْعِرَاقِيِّ(١)

(٦٦) ١٥١- **عَنْ نَافِعٍ:** أَنَّ صَبِيغًا الْعِرَاقِيَّ جَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي أَجْنَادِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى قَدِمَ مِصْرَ، فَبَعَثَ بِهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَلَمَّا أَتَاهُ الرَّسُولُ بِالْكِتَابِ فَقَرَأَهُ قَالَ: أَيْنَ الرَّجُلُ؟ قَالَ: فِي الرَّحْلِ، قَالَ عُمَرُ: أَبْصِرْ أَنْ يَكُونَ ذَهَبَ فَتُصِيبَكَ مِنِّي الْعُقُوبَةُ الْمُوجِعَةُ، فَأَتَاهُ بِهِ، فَقَالَ عُمَرُ: تسأل محدثة؟ فَأَرْسَلَ عُمَرُ إِلَى أَرْطَابٍ مِنَ الْجَرِيدِ فَضَرَبَهُ بِهَا حَتَّى تَرَكَ ظَهْرَهُ خُبْزَةً ثُمَّ تركَهُ حَتَّى بَرِئَ، ثُمَّ عَادَ لَهُ ثُمَّ تَرَكَهُ حَتَّى بَرِئَ فَدَعَا بِهِ لِيَعُودَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ صَبِيغٌ: إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ قَتْلِي فَاقْتُلْنِي قَتْلًا جَمِيلًا، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ تُدَاوِينِي فَقَدْ وَاللهِ بَرِئْتُ، فَأَذِنَ لَهُ إِلَى أَرْضِهِ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ أَلَّا يُجَالِسَهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الرَّجُلِ، فَكَتَبَ أَبُو مُوسَى إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنْ قَدْ حَسُنَتْ هَيْئَتُهُ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ أَنْ يَأْذَنَ لِلنَّاسِ يُجَالِسُونَهُ(٢).

التعليق:

أورد في هذا الباب قصة صبيغ العراقي، وفيها معاملة أهل البدع بالضرب والهجر والإهانة، وقد ذُكر أنواع العقوبات التي فعلها السلف مع المبتدعة، ومنها:

١- ضربهم وجلدهم كما في هذه القصة وغيرها.

٢- سجنهم، كما أفتى بذلك مالك وغيره.

٣- نفيهم وتغريبهم، كما قرره البخاري وغيره.

٤- تعزيرهم بما فيه إهانتهم، هذا وارد عن كثير من السلف.

---

(١) وانظر «موقف أهل السنة من أهل الأهواء» (٢/ ٦١٣) وما بعده.

(٢) حسن بطرقه الأخرى، ورواه الدارمي (١٥٠) والآجري (ص ٧٣) واللالكائي (١١٣٦) وغيرهم.

٥- تحريق كتبهم وإتلافها، كما حرقوا كتاب: إحياء علوم الدين.

٦- هدم أماكن تجمعهم، كما هدم مسجد الضرار.

قوله: (عَنْ أَشْيَاءَ مِنَ الْقُرْآنِ) من المتشابه بقصد التلبيس.

وقوله: (تسأل محدثة؟) أي: أسئلة محدثة مبتدعة.

وقوله: (أَرْطَابٍ) الجريد الرطب، جريد النخل.

وقوله: (ظَهْرَهُ خُبْزَةً) كناية عن شدة الضرب حتى يبس ظهره.

وقوله: (تُدَاوِينِي) أي: من مرض الشبهات والهوى.

قوله: (فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الرَّجُلِ) فيه بيان موقع الهجر لأهل البدع، وأن ذلك شاق عليهم، ولذلك دعا السلف إلى هجرهم وحذروا من مناظرتهم.

وقوله: (أَلَّا يُجَالِسَهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ...) فيه أن المبتدع إذا تاب ولم ير صدق توبته أن يُترك زمناً حتى يتأكد من صحة توبته وتزول رواسب البدعة منه، فإنه متى التفَّ الناس حوله سريعاً نفخه الشيطان حتى يعود إلى البدعة مرة أخرى.



بَابٌ فِي نَقْضِ عُرَى الْإِسْلَامِ وَدَفْنِ الدِّينِ وَإِظْهَارِ الْبِدَعِ(١)

(٦٧) - **قَالَ ابْنُ وَضَّاحٍ:** لَمْ يَعْمَلْ أَحَدٌ مِنَ الْأُمَمِ شَيْئًا إِلَّا اسْتَعْمَلَتْهُ هَذِهِ الْأُمَّةُ.

وَقَالَ: الْخَيْرُ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ يَنْقُصُ، وَالشَّرُّ يَزْدَادُ.

وَقَالَ: إِنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ عَلَى يَدَيْ قُرَّائِهِمْ وَفُقَهَائِهِمْ، وَسَتَهْلِكُ هَذِهِ الْأُمَّةُ عَلَى يَدَيْ قُرَّائِهِمْ وَفُقَهَائِهِمْ.

التعليق:

أراد المؤلف بهذا الباب بيان أن الإسلام يعود غريباً ويَقِلُّ أهله، وكذلك السنة بين المسلمين تصير غريبة، وتقوى شوكة المبتدعة ويكثر جمعهم. وهذا حاصل مشاهد، إلا أن الله تعالى يقيض لهذه الأمة من يجدد لها دينها، ويكسر به شوكة المبتدعة، ولا تزال طائفة على الحق منصورين، ينكرون البدع ويسطعون بالحق مع قلتهم وغربتهم، كان الله تعالى لهم، وجعلنا منهم!

وقد كان في الأمم السابقة بدع ومنكرات أحدثها شرارهم، فقلدهم شرار هذه الأمة حذو القذة بالقذة، كما بين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك في قوله: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»، متفق عليه عن أبي سعيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قوله: (الْخَيْرُ بَعْدَ الْأَنْبِيَاءِ يَنْقُصُ... إلخ) مصداق ذلك قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما من عام إلا

---

(١) أراد المؤلف بهذا الباب بيان أن الإسلام يعود غريباً ويَقِلُّ أهله، وكذلك السنة بين المسلمين تصير غريبة، وتقوى شوكة المبتدعة ويكثر جمعهم. وهذا حاصل مشاهد، إلا أن الله تعالى يقيض لهذه الأمة من يجدد لها دينها، ويكسر به شوكة المبتدعة، ولا تزال طائفة على الحق منصورين، ينكرون البدع ويسطعون بالحق مع قلتهم وغربتهم، كان الله لهم وجعلنا منهم!

والذي بعده شرٌّ منه»، رواه البخاري عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: (إِنَّمَا هَلَكَتْ... إلخ) يعني: قراؤها وفقهاؤها المبتدعة، كما سبق شرحه في أول الكتاب.



(٦٨) ١٥٦- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَوْعِظَةٍ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ إِلَى اللهِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا، ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ١٠٤﴾ [سورة الأنبياء:١٠٤]، فَأَوَّلُ الخَلَائِقِ يُكْسَى بِثَوْبٍ إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ الرَّحْمَنِ، ثُمَّ يُؤْخَذُ بِقَوْمٍ مِنْكُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أَصْحَابِي، قَالَ: فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ [سورة المائدة:١١٧] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١١٨﴾ [سورة المائدة:١١٨]. قَالَ: «فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ»(١).

التعليق:

قوله: (إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ...) يصف حال الناس عند الحشر بما يناسب ذلهم وفقرهم إلى الله تعالى، (حُفَاةً) غير منتعلين، (عُرَاةً) ليس عليهم ثياب، (غُرْلًا) غير مختونين، وهذا عام حتى في الرسل.

قوله: (فَأَوَّلُ الخَلَائِقِ يُكْسَى إِبْرَاهِيمُ) هذا مما اختصه الله تعالى به إكراماً له.

قوله: (خَلِيلُ الرَّحْمَنِ) الخلة أعلى درجة المحبة.

قوله: (مِنْكُمْ) أي: من هذه الأمة سابقها ولاحقها، كما سيأتي بيان صفتهم.

قوله: (ذَاتَ الشِّمَالِ) إلى النار، نعوذ بالله تعالى!

قوله: (يَا رَبِّ، أَصْحَابِي) هذا محمول على من صحبوه من المنافقين الذين لم يُعلَم نفاقُهم والمرتدين بعده من بعض الأعراب وغيرهم، وهم قلة ولذلك قال في رواية (أُصيحابي) بالتصغير. وقيل المراد: أمته كما في رواية: «أمتي».

(١) صحيح، وهو متفق عليه (خ ٣٣٤٩) (م ٢٨٦٠).

أي : هؤلاء من أمتي عرفهم لعله بآثار الوضوء، لأن المرتد لا يعد صحابيًّا.

وذلك شامل لسائر المنافقين من مبتدعة وغيرهم في سائر الأمة إلى يوم الدين، لدخولهم تحت الوصف المذكور وهو قوله: «إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم»، وفي رواية زاد: «فأقول: سحقاً لمن غيَّر وبدل»، والمبتدعة ممن غيَّروا وبدلوا. انظر «شرح مسلم» عند حديث (٢٤٧).

والجملة الأخيرة هي الشاهد الذي أراده المؤلف: (لم يزالوا مرتدين...).



(٦٩) ١٧٠- عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»، قِيلَ: وَمَنِ الْغُرَبَاءُ؟ قَالَ: «النُّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ»(١).

التعليق:

قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: «ظاهر الحديث العموم، وأن الإسلام بدأ في آحاد من الناس وقلة ثم انتشر وظهر، ثم سيلحقه النقص والإخلال حتى لا يبقى إلا في آحاد الناس وقلة أيضاً كما بدأ.

وقوله: (طُوبَى) قيل: شجرة في الجنة، وقيل: الجنة، وقيل: النعيم والكرامة وحسن المآل، كلها صحيحة متوافقة لمن دخل الجنة.

وقوله: (النُّزَّاعُ مِنَ الْقَبَائِلِ) أفراد قلائل من القبائل، فلا تجد من القبيلة إلا الواحد أو الاثنين، وهذه والله غربة ، فاللهم ثبتنا على الإسلام والسنة، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا يا أرحم الراحمين!

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله تعالى: «النزاع: جمع نزيع ونازع، وهو الغريب الذي نزع عن أهله وعشيرته، أي: الذين يخرجون عن أوطانهم لإقامة سنن الدين، والقليل من الناس من يهجر وطنه وعشيرته من أجل إعلاء كلمة الحق ومن أجل نشر دين الله الحق ...».

«شرح فضل الإسلام» (ص ١٥٤).



(١) صحيح بشواهده، [إلا ذكر الجملة الأخيرة]، ورواه أحمد (٣٧٨٤) وابن ماجه (٣٩٨٨) وهو في مسلم عن ابن عمر وغيره.

(٧٠) ١٧٥- **عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الدَّيْلَمِيِّ** قَالَ: «تَذْهَبُ السُّنَّةُ سُنَّةً سُنَّةً، كَمَا يَذْهَبُ الحَبْلُ قُوَّةً قُوَّةً، وَآخِرُ الدِّينِ الصَّلَاةُ، وَلَيُصَلِّيَنَّ قَوْمٌ وَلَا خَلَاقَ لَهُمْ»(١).

التعليق:

(تَذْهَبُ السُّنَّةُ) بترك تعلمها والعمل بها حتى تُجهل وتُنسى، (سُنَّةً سُنَّةً) بالنصب على الحال، والتقدير: تذهب متتابعاً، أي: شيئاً بعد شيئاً، (كَمَا يَذْهَبُ الحُبْلُ قُوَّةً قُوَّةً) كما تذهب قوة الحبل فينحل ويضعف شيئاً فشيئاً حتى ينقطع، (وَآخِرُ الدِّينِ الصَّلَاةُ) أي: آخر السنن تركاً لها الصلاة.

(وَلَيُصَلِّيَنَّ قَوْمٌ وَلَا خَلَاقَ لَهُمْ) أي: لا نصيب ولا أجر لهم، إما لأنهم يراؤون، أو لأنهم خالفوا في صلاتهم كثيراً وابتدعوا فيها فلم تقبل منهم.

وهذا الأثر مأخوذ من حديث أبي أمامة عند أحمد وغيره مرفوعاً: «لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها، فأولهن نقضاً الحكم، وآخرهن الصلاة».

«لتنقضن: بالبناء للمجهول، أي: تنحل، نقضت الحبل: حللت برمه، وانتقض الأمر بعد التئامه، فسد. (عرى الإسلام) جمع عروة، وهي في الأصل ما يعلق به من طرف الدلو والكوز ونحوهما، فاستعير لما يتمسك من أمر الدين ويتعلق به من شعب الإسلام.

(عروة عروة) قال أبو البقاء: بالنصب على الحال، والتقدير: ينقض متتابعاً، فالأول كقولهم: ادخلوا الأول فالأول، أي: شيئاً بعد شيء.

(فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها) أي: تعلقوا بها، يقال: تشبث به، أي: تعلق به.

---

(١) صحيح. وأخرجه الدارمي (٩٨) واللالكائي (١٢٧) وغيرها.

(فأولهن نقضاً الحكم) أي: القضاء، وقد كثر في زماننا، حتى في القضية الواحدة تنقض وتبرم مرات بقدر الدراهم.

(وآخرهن الصلاة) حتى أن أهل البوادي الآن وكثيراً من أهل الحضر لا يصلون رأساً، ومنهم من يصلي رياءً وتكلفاً، ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [سورة النساء:١٤٢]... اهـ

قال أبو عبد الله: ونقض الحكم يشمل ما ذُكر، ويشمل -أيضاً- نقضه بتغيير أحكامه، وعدم التحاكم إليه، فلا يقصر ذلك على المحاكم، بل هو عام في كل من لم يقبل الحكم الشرعي في أيِّ قضية كانت، عقدية أو دعوية أو منهجية أو خصومات أو غيرها.

راجع باب وجوب الحكم بما أنزل الله تعالى من شرحنا للقول المفيد.



(٧١) ١٧٦- **عَنْ مالك بن أبي عامر** قَالَ: «مَا أَعْرِفُ شَيْئًا مِمَّا أَدْرَكْتُ عَلَيْهِ النَّاسَ إِلَّا النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ»(١).

التعليق:

مالك هذا تابعي وأبوه صحابي.

وقوله: (النَّاسَ) أي: الصحابة، وكلامه هذا في زمن بني أمية حيث كانوا يؤخرون الصلاة عن وقتها وأحدثوا مخالفات يسيرة.

أقول: رحم الله مالكاً وأبا الدرداء، كيف لو رأوا زماننا؟! حيث صارت البدع والمخالفات لها قرون ومخالب، وصار المتمسك بالدين غريباً، محارباً، ولا حول ولا قوة إلا بالله!



(١) صحيح.

(٧٢) ١٨٠- **عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ** قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ أَبُو الدَّرْدَاءِ وَهُوَ غَضْبَانُ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَغْضَبَكَ؟ فَقَالَ: «وَاللهِ مَا أَعْرِفُ فِيهِمْ مِنْ أَمْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ شَيْئًا إِلَّا أَنَّهُمْ يُصَلُّونَ جَمِيعًا»(١).

التعليق:

هذا الأثر مثل الذي قبله، وكان في زمن بني أمية.

وفيه: الغضب عند ترك السنن أو إحداث البدع، وهو محمود ما لم يجاوز حده، وإنما يذم الغضب للنفس، أو ما تجاوز به العبد حدَّه.

وقد جاء نحوه عن أنس (خ ٥٢٩) وفيه: أنه بكى لما رأى تأخير الصلاة عن وقتها، وهذا من شدة غيرة القوم على الدين.



(١) صحيح، وهو في البخاري (٥٣٠).

(٧٣) ١٨٤- **عَنِ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود:** أَتَدْرُونَ كَيْفَ يُنْقَصُ الْإِسْلَامُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، كَمَا يُنْقَصُ صَبيغُ الثَّوْبِ، وَكَمَا يُنْقَصُ سَحْنُ الدَّابَّةِ، قَالَ عَبْدُ الله: ذَلِكَ مِنْهُ[1].

التعليق:

قوله: (صبيغ الثَّوْبِ) أي: نقشه - من غير البياض - وزينته.

وفي نسخة: [صُنع الثوب] أي: خيوطه التي صنع منها.

وقوله: (سحن الدابة) السَّحْن: الهيئة الحسنة، كأن المراد: يتغير مع كبر سنها، والله أعلم.

والمعنى: كما أن هذه الأشياء تذهب شيئاً فشيئاً حتى تضمحل، كذلك يترك الناس السنن شيئاً فشيئاً حتى يترك بالكلية ويحل محله البدع والشركيات؛ كما هو المشاهد في كثير من المنسوبين إلى الرفض والتصوف والحزبيين العلمانيين ... لم يبق مع بعضهم إلا اسم الإسلام، وإلا فقد صاروا في لجة الشركيات.



(١) صحيح.

(٧٤) ١٩٣- **عَنِ ابْنِ خَالِدٍ**، قَالَ: «أَدْرَكْتُ النَّاسَ وَهُمْ يَعْمَلُونَ وَلَا يَقُولُونَ، فَهُمُ الْيَوْمَ يَقُولُونَ وَلَا يَعْمَلُونَ»(١).

التعليق:

كان السلف يحرصون على العلم والعمل، ثم خلف من بعدهم أقوام يقولون ما لا يعملون، والوعظ فيهم كثير والعمل قليل، ويعملون ما لا يؤمرون، فلما قَلَّ العمل بالسنن هجرت وجهلت، فأحدث الناس بدعاً ما أنزل الله بها من سلطان، فهم لها عاملون.

وقوله: (وَلَا يَقُولُونَ) أي: لا يكثرون من التحديث والوعظ، إنما كانوا يتخولون الناس بذلك في بعض الأحيان، وذلك لانتشار العلم في زمانهم، فلما تفشى الجهل أمر عمر بن عبد العزيز بنشر العلم والجلوس للناس.



(١) صحيح.

(٧٥) ١٩٦ - **عَنْ هِلَالَ بْنَ حَبَّانَ** قَالَ: سَأَلْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ قُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الله، مَتَى عَلَمُ هَلَاكِ النَّاسِ؟ قَالَ: «إِذَا هَلَكَ عُلَمَاؤُهُمْ»(١).

التعليق:

قوله: (عَلَم) علامة ذلك، (هَلَاكِ النَّاسِ) يحتمل أن المراد: هلاكهم في الباطل بالتهافت إليه، أو: هلاكهم بقيام الساعة، وكلاهما صحيح.

وقوله: (إِذَا هَلَكَ عُلَمَاؤُهُمْ) حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساء جهال فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا، كما في حديث عبد الله بن عمرو.

ثم تقبض أرواح من بقي من المؤمنين، ويبقى شرار الناس وعليهم تقوم الساعة، إذاً: فالجهل مؤذنٌ بخراب العالم وزواله، ولا يزال الناس في عافية ما وجد فيهم علماء مصلحون على الكتاب والسنة.



(١) صحيح. ورواه ابن أبي شيبة (١٥/ ٤٠) وابن سعد (٦/ ٢٦٢) وأبو نعيم (٤/ ٢٧٦) وغيرهم.

(٧٦) ١٩٧- **عَنْ إِيَاسِ بْنِ مُعَاوِيَةَ** قَالَ: «مَا بَعُدَ عَهْدُ قَوْمٍ مِنْ نَبِيِّهِمْ إِلَّا كَانَ أَحْسَنَ لِقَوْلِهِمْ، وَأَسْوَأَ لِفِعْلِهِمْ».

التعليق:

هذا بمعنى أثر ابن خالد. والمراد أيضاً: أنهم يحرصون على تحسين القول وزخرفته، والبراعة في الخطابة ونحوها، وإذا نظرت لأعمالهم وجدتهم ذوي أعمال سيئة عندهم بدع ومعاصٍ.

وهذا والله مشاهد، كم واعظ عنده شركيات وكفريات، وكم واعظ قد فُتن به الجهال وهو حزبي مبتدع، وانظر ما وصف به الخوارج: «يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»، فانظر إلى القول وإلى العمل وهو (يمرقون).

ومع هذا من منا سلم من التقصير، اللهم سلمنا واعف عنا!



(٧٧) ٢٠٠- **عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: «إِنِّي لَأَمْقُتُ الْقَارِئَ أَنْ أَرَاهُ سَمِينًا نَسِيًّا لِلْقُرْآنِ»(١).

التعليق:

قوله: (لَأَمْقُتُ) المقت: البغض الشديد، (سَمِينًا) في جسمه، (نَسِيًّا) أي: كثير النسيان. والسِّمَن مذموم إذا حمل على التكاسل أو التشاغل عن العبادة، وعلى ذلك يحمل قوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «ويظهر فيهم السِّمَن» في ما بعد القرون المفضلة.



(١) حسن إن شاء الله تعالى، وصححه البدر.

(٧٨) ٢٠١- **عَنْ أَبِي ثَامِرٍ**: أَنَّهُ رَأَى فِيمَا يَرَى النَّائِمُ - وَكَانَ عَابِدًا - أَنَّهُ قِيلَ: وَيْلٌ لِلْمُتَسَمِّنَاتِ مِنْ فَتْرَةٍ تَكُونُ فِي الطَّعَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ(١).

التعليق:

الرؤيا لا يبنى عليها حكم كما هو معلوم، وهو محمولٌ على ما سبق ذكره، وكأن مراد المؤلف: أن الناس يشغلون بالدنيا والمآكل عن العلم والعمل حتى يجهلوا كثيراً من أمور الدين، وذلك من النقص وذهاب الدين، وظهور الشرور والبدع.



(١) صحيح.

(٧٩) ٢٠٦- **عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ حَائِطًا حَصِينًا عَلَى الْإِسْلَامِ يَدْخُلُ النَّاسُ فِيهِ وَلَا يَخْرُجُونَ مِنْهُ؛ فَانْثَلَمَ الْحَائِطُ وَالنَّاسُ خَرَجُوا مِنْهُ وَلَا يَدْخُلُونَ فِيهِ»(١).

التعليق:

قوله: (حَائِطًا حَصِينًا) هذا كقول حذيفة عند أن سأله عمر عن الفتنة التي تموج كموج البحر فقال: «إن بينك وبينها باباً مغلقاً» يعني به عمر، فقال: أيُفتح أم يكسر؟ فقال: بل يكسر، فقال عمر: ذلك أحرى أن لا يغلق بعد. متفق عليه.

وذلك أن عمر أذل الله به أهل الباطل، فلما مات ظهر شر عريض لم يزل في زيادة إلى قيام الساعة.

قوله: (فَانْثَلَمَ) انكسر من أعلاه، انثلم الحائط: انشق وحصل فيه خلل، والمراد به: موت عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: (وَالنَّاسُ خَرَجُوا مِنْهُ وَلَا يَدْخُلُونَ فِيهِ) أي: كثُر في الناس من خرجوا منه إلى البدع والأهواء، ممن جاء بعد الصحابة.

وأما قوله: (ولا يدخلون فيه) فمحمولٌ على أنهم لم يرجعوا إلى الحالة التي كان عليها عمر والصحابة، وأما دخول الإسلام فقد كان في عهد عثمان وما بعده أكثر منه في عهد عمر رضي الله عنهما.



(١) صحيح. ورواه عبد الرزاق (٧/ ٢٨٩) مطولاً.

بَابٌ: فِيمَا يُدَالُّ[١] النَّاسُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَالْبِقَاعِ

(٨٠) ٢١٠- عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مَرْيَمَ قَالَ: كَانَ يُقَالُ: «إِنَّ الْبِقَاعَ لَيُدَالُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، حَتَّى إِنَّ الْمَسْجِدَ لَيُتَّخَذُ كَنِيفًا، وَإِنَّ الْكَنِيفَ لَيُتَّخَذُ مَسْجِدًا»[٢].

التعليق:

هذا الباب معناه: أن من حكمة الله تعالى وقدره الكوني أن يحصل التداول بين الناس، فتارة لهذه الطائفة وتارة لغيرها، وهكذا البقاع والأيام والشهور، وهذا كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة آل عمران:١٤٠]، فهذه صفة الدنيا، بخلاف الآخرة فإنها خالصة لأهل التوحيد والإيمان، فعلى المؤمن أن يوطن نفسه على تقلبات الدنيا، فلا يتقلب في دينه، بل يثبت ويستعين بالله تعالى.

وقوله: (إِنَّ الْبِقَاعَ لَيُدَالُ بَعْضُهَا...) أن الأماكن من الأرض يحصل بينها تداول كما هو المشاهد، ومثل لذلك بمسجد في مكان ما مع مرور الأيام تهدم واندثر، فجاء قوم فبنوا مكانه بيتاً فيه حمام – مثلاً– أو حمام في مكان ما هدم وأزيل وبني في تلك البقعة مسجداً، وهذا من التداول.



---

(١) يدال: من التداول.

(٢) صحيح.

(٨١) ٢١١- عَنْ أَبِي حَصِينٍ قَالَ: سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ، وَخَيْثَمَةَ يَتَذَاكَرَانِ فَقَالَا: «إِنَّ لِلْأَشْرَارِ بَقَاءً بَعْدَ الْأَخْيَارِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلْآخَرِ: نَخْشَى أَنْ نَكُونَ مِنْهُمْ»(١).

التعليق:

سبق في حديث حذيفة أن بعد الخير شرًا وبعد الشر خيرًا ... إلخ، وهذا من التداول.

وهذا الأثر معناه: أن الأشرار يكثرون تارة ويرفعون رايتهم، وتارة يقوى الخير وأهله وتنكس راية الشر وأهله.

وأما قوله: (نَخْشَى أَنْ نَكُونَ مِنْهُمْ) فهذا مما كان عليه السلف من الخوف من الرياء والنفاق والشر والانحراف مع صحة عقائدهم وصلاح أعمالهم، وهو دلالة على فقههم، بخلاف من بعدهم فقد كثر الأمن فيهم مع سوء أعمالهم، إلا من رحم ربك!



(١) صحيح. وإبراهيم هو النخعي، وخيثمة هو ابن عبد الرحمن بن أبي سبرة.

(٨٢) ٢١٤- **عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ** وَغَيْرِهِ: «إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ حَتَّى يَسُودَ كُلَّ قَبِيلَةٍ مُنَافِقُوهَا»(١).

التعليق:

يعني: من علامات الساعة أن يكون أمراء وسادة القبائل أهل النفاق فيهم وأهل الفسوق والبدع.

وذلك كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما سئل عن الساعة: «إذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض فذاك من أشراطها»، (م ١٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وكقوله: (إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين) رواه أحمد (٥/ ٢٧٨) عن ثوبان.

وكقوله: «الفويسق يتكلم في أمر العامة»، رواه أحمد (٣/ ٢٢٠).

والأحاديث في هذا كثيرة. انظر «موسوعة أحاديث الفتن» (ص ٣٢٣) وما بعدها.

والشاهد من الأثر أن الأمراء في السلف كانوا من الخيار، ثم بعدهم صار غالب من يتولى الحكم فيهم ضعف في دينهم، ثم يأتي زمان يلي الحكم أهل النفاق، وهذا من التداول.



(١) حسن.

(٨٣) ٢٢٢- عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُول الله ﷺ عَنْ رَفْعِ الْأَمَانَةِ، قَالَ: «حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، وَحَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ، وَمَا أَظْرَفَهُ، وَمَا فِي قَلْبِهِ حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ»(١).

التعليق:

قوله: (الأمانة) قال النووي المراد بها التكليف الذي كلفه الله تعالى به عباده والعهد الذي أخذه عليهم..

وقال الحسن: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾: الدين، والدين كله أمانة.

وقال صاحب التحرير: الأمانة: الإيمان. اهـ بتصرف (٢/ ١٤٤).

وقوله: (مَا أَجْلَدَهُ) الجلد: الصلابة. (ما) تعجبية، أي: يتعجبون من كمال جلَدِه.

وقوله: (مَا أَظْرَفَهُ) الظرف: البراعة وذكاء القلب.

قوله: (وَمَا فِي قَلْبِهِ حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ) الواو حالية، والمعنى: والحال الواقع أنه ليس في قلبه أدنى ما يكون من الإيمان، وهذا الحديث محتمل لنفي كمال الإيمان الواجب أو نفي أصل الإيمان، والله أعلم.

والشاهد منه: رفع الأمانة، وهي الإيمان أو الدين، أو بعض ذلك.



(١) صحيح، رواه مسلم (١٤٣).

(٨٤) ٢٢٣- عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي وَاللهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا»(١).

التعليق:

قوله: (مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي) قال النووي رحمه الله تعالى (١٥/ ٤٨): «إن الأمة لا ترتد جملة وقد عصمها الله تعالى من ذلك، وإنما تتنافس في الدنيا، وقد وقع كل ذلك».

وهذا هو الذي قواه الحافظ ابن حجر.

واحتمال آخر: أن هذا الخطاب للصحابة، والله أعلم.

والشاهد من الحديث: أن الناس يتنافسون في الدنيا ويضيعون الدين، بعد أن كان سلفهم يبذلون الدنيا لصلاح الدين.



(١) صحيح، وهو متفق عليه (خ ١٣٤٤)، (م ٢٢٩٦).

(٨٥) ٢٢٤- عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْبِغْضَةَ؛ فَإِنَّهَا هِيَ الحَالِقَةُ»(١).

التعليق:

قوله: (مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟) هذا باعتبار أن هذه العبادات غير متعدية، والإصلاح بين المتخاصمين متعدي، أو يكون المراد نوافل هذه العبادات ونحوها.

وقوله: (إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ) ما بينكم من الأحوال من الخصام والعداوة والفرقة ونحوها، وإصلاحها: دعوة الناس إلى تركها والعودة إلى الألفة والتعاون ونحو ذلك.

وقوله: (وَإِيَّاكُمْ وَالْبِغْضَةَ) احذروا التباغض بينكم، (فَإِنَّهَا هِيَ الحَالِقَةُ) «أي: هي الخصلة التي من شأنها أن تحلق الدين وتستأصله كما يستأصل الموسى الشعر.

وفي الحديث حث وترغيب في إصلاح ذات البين واجتناب الإفساد فيها؛ لأن الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله تعالى وعدم التفرق بين المسلمين، وفساد ذات البين ثلمة في الدين، فمن تعاطى إصلاحها ورفع فسادها نال درجة فوق ما يناله الصائم القائم المشتغل بخويصة نفسه».

ومن أعظم إصلاح ذات البين: جمع الناس على التوحيد والسنة، وهدم الشرك والبدع، فإن الشرك والبدع هي الحالقة.



(١) مرسل، ولكن جاء بسند صحيح نحوه عن أبي الدرداء عند أحمد (٦/ ٤٤٥) والترمذي (٢٥٠٩) وصححه الشيخان الألباني والوادعي.

(٨٦) ٢٣٢- عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «لَا يُقْبَضُ الْعِلْمُ انْتِزَاعًا مِنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ يُقْبَضُ الْعِلْمُ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، فَإِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»(١).

التعليق:

قوله: (لَا يُقْبَضُ الْعِلْمُ انْتِزَاعًا ينتزعه) لا يقبضه دفعة واحدة، (بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ) موتهم، (فَإِذَا لَمْ يَبْقَ عَالِمٌ) هذا في آخر الزمان، (اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤَسَاءَ جُهَّالًا) لأن الناس لابد لهم من رؤساء، (فَسُئِلُوا) في أمور الدين التي لا علم لهم بها، (فَأَفْتَوْا) برأيهم وبجهل، (فَضَلُّوا) في أنفسهم (وَأَضَلُّوا) غيرهم.

والشاهد منه: قبض العلماء وحلول مكانهم الجهال.

وهذا من التداول، ومن ذهاب الدين.



(١) صحيح وهو متفق عليه (خ ١٠٠)، (م ٣٦٧٣).

(٨٧) ٢٣٨- عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ: قَالَ لِي شَقِيقٌ أَبُو وَائِلٍ: يَا سُلَيْمَانُ: مَا شَبَّهْتُ قُرَّاءَ زَمَانِكَ إِلَّا بِغَنَمٍ رَعَتْ حَمْضًا[١]، فَمَنْ رَآهَا ظَنَّ أَنَّهَا سِمَانٌ، فَإِذَا ذَبَحَهَا لَمْ يَجِدْ فِيهَا شَاةً سَمِينَةً[٢].

(٨٨-٨٩) ٢٤٠- عَنْ حفيد سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ قَالَ: «سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَجْلِسُ فِي مَسَاجِدِهِمْ شَيَاطِينُ، يُعَلِّمُونَهم دينهم... [فصدقه سفيان].

قَالَ زُهَيْرُ بْنُ عَبَّادٍ: يَعْنِي سُفْيَانَ: يُعَلِّمُونَ النَّاسَ، فَيُدْخِلُونَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ الْأَهْوَاءَ الْمُحْدَثَةَ، فَيُحِلُّونَ لَـهُمُ الْحَرَامَ، وَيُشَكِّكُونَهُمْ فِي الْفَضْلِ وَالصَّبْرِ وَالسُّنَّةِ، وَيُبْطِلُونَ فَضْلَ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَيَأْمُرُونَهُمْ بِالْإِقْبَالِ عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا، وَهِيَ رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ[٣].

التعليق:

أثر سفيان: الشاهد منه: أن المساجد كان يجلس فيها العلماء، ثم يدال الأمر فيجلس فيها شياطين الإنس، وهذا الأثر كالحديث السابق.

أثر أبي وائل: كان القراء من أهل الخير والصلاح ثم خلف من بعد خلوف ظاهرها الخير وحقيقتها غير ذلك، كالشاة رعت المرعى الحامض فانتفخت بطنها فتظنها سمان، والواقع أنه انتفاخ.

ووجود هؤلاء القراء الصالحين من التداول.



(١) الحَمض: كل نبت في طعمه حموضة، وأكله يؤدي إلى انتفاخ البطن.

(٢) صحيح من طرق أخرى. ورواه أبو نعيم (٤/ ١٠٤-١٠٥) وابن المبارك في «الزهد» (١٩٨).

(٣) صحيح دون ما ذكره المؤلف عن سفيان عن عبد الله بن عمرو ، وقد حذفتها.

(٩٠) ٢٤١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عَنْ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يُحَدِّثُونَكُمْ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ، فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ»(١).

التعليق:

قوله: (سَيَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ) أي: بعد زمن الصحابة، وهذا وارد في أحاديث كثيرة.

(نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي) أمة الإجابة، أي: من المسلمين.

(يُحَدِّثُونَكُمْ بِمَا لَمْ تَسْمَعُوا...) يكذبون في الحديث والعقائد وغيرها، فهو شامل للكذابين وأصحاب الأحاديث الواهية، ولأهل البدع والأهواء.

(فَإِيَّاكُمْ وَإِيَّاهُمْ) احذروهم وابتعدوا عنهم.



(١) صحيح وله شواهد، رواه مسلم في المقدمة (١/ ١٢) وأحمد (٢/ ٣٢١) وغيرهما.

(٩١) ٢٤٣- **عن دراَّج أَبي السَّمْحِ** قال: «يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يُسَمِّنُ الرَّجُلُ رَاحِلَتَهُ حَتَّى تَعْقِدَ شَحْمًا، ثُمَّ يَسِيرُ عَلَيْهَا فِي الْأَمْصَارِ حَتَّى تَعُودَ نَقْضًا، يَلْتَمِسُ مَنْ يُفْتِيهِ بِسُنَّةٍ قَدْ عُمِلَ بِهَا فَلَا يَجِدُ مَنْ يُفْتِيهِ إِلَّا بِالظَّنِّ»[1].

التعليق:

هذا من اجتهاد أبي السمح ولعله يكون.



(١) صحيح. ورواه ابن عبد البر في «الجامع» (١٠٣٧).

(٩٢) ٢٤٤- عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى لَا يُقَالَ: اللهُ اللهُ، فِي الْأَرْضِ»(١).

التعليق:

أي: مما يكون قُبيل قيام الساعة فشو الجهل والكفر حتى لا يوجد من يقول: لا إله إلا الله، وهذا بعد قبض أرواح المؤمنين.



(١) صحيح، وهو في مسلم.

(٩٣) ٢٥٠- **عَنْ ثَوْبَانَ** رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «لَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ حَتَّى يَلْحَقَ قَبَائِلُ مِنْ أُمَّتِي بِالْمُشْرِكِينَ، وَحَتَّى تُعْبَدَ الْأَوْثَانُ، وَسَيَكُونُ مِنْ أُمَّتِي كَذَّابُونَ ثَلاثُونَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَا خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ»(١).

التعليق:

من أشراط الساعة: ارتداد قبائل من المسلمين إلى الشرك، ولحوق آخرين بأهل الشرك لأجل مطامع دنيوية أو شُبَه.

ومن أشراطها: أن تعبد الأوثان في جزيرة العرب وغيرها.

وقوله: (كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ) الذين ادعوا النبوة كثير، وهؤلاء الثلاثون إنما هم الذين تكون لهم شوكة وأتباع كمسيلمة الكذاب والمختار والأسود العنسي ونحوهم.



(١) صحيح وله شواهد، وبعضه في الصحيح.

(٩٤) ٢٥١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْبَعِثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبًا مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُول الله »(١).

(٩٥) ٢٥٣- عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ قَالَ: إِنَّا أَخَذْنَا الْقُرْآنَ عَنْ قَوْمٍ، فَأَخْبَرُونَا أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا تَعَلَّمُوا عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزُوهُنَّ إِلَى الْعَشْرِ الْأُخَرِ حَتَّى يَعْمَلُوا بِمَا فِيهِنَّ مِنَ الْعِلْمِ، قَالَ: فَتَعَلَّمْنَا الْعِلْمَ وَالْعَمَلَ جَمِيعًا، وَإِنَّهُ سَيَرِثُ هَذَا الْقُرْآنَ قَوْمٌ بَعْدَنَا يَشْرَبُونَهُ كَشُرْبِهِمُ الْمَاءَ، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، قَالَ: بَلْ لَا يُجَاوِزُ هَهُنَا، وَوَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ حَنَكِهِ(٢).

التعليق:

حديث أبي هريرة كسابقه.

وقوله: (أَخَذْنَا الْقُرْآنَ عَنْ قَوْمٍ) وهم الصحابة، فأبو عبد الرحمن هذا أخذه عن عثمان وزيد بن ثابت وعلي وأُبي وغيرهم.

(تَعَلَّمُوا عَشْرَ آيَاتٍ) وهذا هو الذي اختاره كبار القراء أن الطالب يقرأ على الشيخ عشر آيات ولا يجاوزها حتى يتقن لفظها ويفهم معناها.

قوله: (حَتَّى يَعْمَلُوا بِمَا فِيهِنَّ مِنَ الْعِلْمِ) أي: ما فيها من الأحكام فيعملوا بها. وفي نسخة: (يعلموا): والمراد يعلمون ثم يعملون.

قوله: (يَشْرَبُونَهُ كَشُرْبِهِمُ الْمَاءَ) كناية عن سرعة حفظهم.

قوله: (لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ) لا يصل إلى قلوبهم، وإنما مجرد تلاوة باللسان كحال الخوارج، وهذا بمعنى حديث: «أكثر منافقي أمتي قراؤها»، وسيأتي. اللهم ارزقنا حفظ القرآن والعمل به.



(١) صحيح بشواهده، والحديث في مسلم من طريق أخرى.

(٢) صحيح، ورواه ابن عبيد (٦/ ١٧٢) وغيره.

(٩٦) ٢٥٥- عَنْ سلمة بن الحارث الكوفي قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عَلَى بَابِ عَبْدِ الله بْنِ مَسْعُودٍ نَنْتَظِرُهُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَيْنَا، فَخَرَجَ فَقَالَ: إِنَّ رَسُول الله ﷺ حَدَّثَنَا: «إِنَّ قَوْمًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»(١).

التعليق:

هذا الحديث في الخوارج ومن شابههم، وقد سبق شرحه.



(١) حسن، وله شواهد.

(٩٧) ٢٥٨- **عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي ﷺ قال: «أَكْثَرُ مُنَافِقِي أُمَّتِي قُرَّاؤُهَا»(١).

التعليق:

المراد بالنفاق هنا: ترك الإخلاص ومخالفة القول للعمل، يعني: أن هذا يكثر في القراء آخر الزمان، وإلا فالقراء هم خير الناس إذا أخلصوا لله تعالى وعملوا بالقرآن، «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»، رواه البخاري عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وانظر «شرح السنة» للبغوي (١/ ٧٧).



(١) صحيح بشواهده. ورواه أحمد (٢/ ١٧٥) وغيره.

(٩٨) ٢٥٩- **عَنِ الْحَسَنِ** قَالَ: «أَلَا إِنَّ مِنَ شِرَارِ النَّاسِ أَقْوَامًا قَرَءُوا هَذَا الْقُرْآنَ لَا يَعْمَلُونَ بِسُنَّتِهِ»(١).

التعليق:

هذا الأثر يفسر الحديث السابق.



(١) صحيح.

(٩٩) ٢٦١- **عَنْ ابنِ مسعود** قَالَ: «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا أَلْبَسَتْكُمْ فِتْنَةٌ يَرْبُو فِيهَا الصَّغِيرُ، وَيَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَتُتَّخَذُ سُنَّةً يُجْرَى عَلَيْهَا، فَإِذَا غُيِّرَ مِنْهَا شَيْءٌ قِيلَ: غُيِّرَتِ السُّنَّةُ. قِيلَ: مَتَى ذَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ فَقَالَ: «إِذَا كَثُرَ قُرَّاؤُكُمْ، وَقَلَّ فُقَهَاؤُكُمْ، وَكَثُرَ أَمْوَالُكُمْ[1]، وَقَلَّ أُمَنَاؤُكُمْ، وَالْتُمِسَتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ، وَتُفُقِّهَ لِغَيْرِ الدِّينِ»[2].

التعليق:

قوله: (أَلْبَسَتْكُمْ) خالطتكم وغشيتكم، (يَرْبُو) ينشأ ويكبر، (يجري عليها الناس) يعملون بها دون نكير.

هذا الأثر عظيم وواقع، فإن الفتنة سواء كانت شركاً أو بدعة أو ما أشبه ذلك أول ما تكون في المجتمع الجاهل ينكرها قوم منهم، فيطول العهد حتى تنتشر ولا ينكرها أحد، فيولد الغلام ويكبر ثم يهرم وهو يشاهد الناس يعملون بتلك البدعة، فيظن بجهله أن ذلك من الدين، فإذا جاء رجل من أهل العلم بالسنة ورأى تلك البدعة أنكرها، فإذا بالناس الذين تربوا على تلك البدعة ينكرون عليه ويقولون: جاء بدين جديد، خالف الآباء، غيَّر الدين والسنة ...!!

ومثال ذلك: تعظيم المقبورين إلى حد الشرك، لقد مضى زمان من أنكر ذلك طعن في دينه، بل وحكم عليه بالقتل أو النفي من البلاد.

ومثال آخر: الأذان بحي على خير العمل، إذا أذن الرجل في بلاد الزيدية والشيعة وتركها نادوا عليه: أذانك باطل، أو: الصلاة باطلة..، وهي بدعة لو كانوا يعقلون.

ومثال آخر أيضاً: بناء القباب، لو هدمها رجل لرموه بالكفر.

ولكن لما انتشر العلم والسنة علم كثير من أولئك أنهم كانوا في ضلال مبين.

---

(١) في بعض الطرق: (وكنز).

(٢) صحيح وله طرق. ورواه الدارمي (١٩١) والحاكم (٤/ ٥١٤) وغيرهما.

قوله: (كَثُرَ قُرَّاؤُكُمْ) الذين لا علم عندهم، وأهل البدع يعتنون بالقراء الجهال، لأنهم أسرع استجابة لهم لما عندهم من الحماس للدين - على جهل.

قوله: (وَقَلَّ فُقَهَاؤُكُمْ) أي: فقهاء الدين وهم العلماء، حتى إنك لتمر بمصر من الأمصار فلا ترى فيه عالماً راسخاً. وانظر كلاماً جميلاً للشاطبي «الاعتصام» (١/ ٢٢٢).

قوله: (وَكَثُرَ أَمْوَالُكُمْ) وهذا ما خافه رسول الله علينا كثرة المال المؤدي إلى التنافس في الدنيا.

قوله: (وَقَلَّ أُمَنَاؤُكُمْ) وكثر الخائنون في عقائدهم ومعاملاتهم، (وَالْتُمِسَتِ الدُّنْيَا...) إلخ، أي: تفقه لأجل الدنيا، الوظائف، المال، الشهرة، الجاه، الرفعة ... وغيرها.

نعوذ بالله تعالى من الفتن ما ظهر منها وما بطن!



(١٠٠) ٢٦٧- **عَنِ الْحَسَنِ** قال: «إِنَّمَا كَانَ الْأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ فِي مُؤْمِنٍ يُرْتَجَى، وَجَاهِلٍ يُعَلَّمُ، وَلَمْ يَكُنْ فِيمَنْ يُشْهِرُ السَّيْفَ»(١).

التعليق:

يريد الحسن: أن المؤمن يقبل النصح [أمراً ونهياً]، وكذلك الجاهل يقبل النصح ويُعلَّم حتى يفهم، فهو غير معاند.

وأما الصنف الثالث - وهو المعاند صاحب الهوى الذي يرى الخروج على المسلمين كالخوارج والرافضة والحزبيين - فهؤلاء غالباً لا ينجع فيهم النصح ولا يقبلونه، كما سبق في باب: هل لصاحب البدعة توبة.

وهذا الأثر كقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [سورة النحل:١٢٥].



(١) صحيح.

(١٠١) ٢٦٨- **عَنْ عَنْتَرِيس بْنِ عَوْفٍ** قال لعبد الله بن مسعود: أَهَلَكْتُ إِنْ لَمْ آمُرْ بِالمَعْرُوفِ، وَلَمْ أَنْهَ عَنِ المُنْكَرِ؟ فَقَالَ عَبْدُ الله: «هَلَكْتَ إِنْ لَمْ يَعْرِفْ قَلْبُكَ المَعْرُوفَ، وَيُنْكِرِ المُنْكَرَ»(١).

التعليق:

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب - حسب القدرة – بالإجماع، والأدلة في ذلك معروفة، وقول ابن مسعود هذا يحمل على أن العبد إذا وصل حالة لا يعرف المعروف ولا ينكر المنكر فقد هلك.

وهذا كقوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «والآخر أسود مربادًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا إلا ما أشرب من هواه»، وهذا القلب الفاسد.

وأثر علي الآتي يوضح المعنى أكثر.



---

(١) صحيح.

(١٠٢) ٢٧٠- عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «الْجِهَادُ ثَلَاثَةٌ: فَجِهَادٌ بِيَدٍ، وَجِهَادٌ بِلِسَانٍ، وَجِهَادٌ بِقَلْبٍ، فَأَوَّلُ مَا يُغْلَبُ عَلَيْهِ مِنَ الْجِهَادِ يَدُكَ، ثُمَّ لِسَانُكَ، ثُمَّ يَصِيرُ إِلَى الْقَلْبِ، فَإِذَا كَانَ الْقَلْبُ لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا؛ نُكِّسَ فَجُعِلَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ»(١).

التعليق:

(فَجِهَادٌ بِيَدٍ) وهو شامل للجهاد في سبيل الله تعالى، والجهاد في تغيير المنكر، (وجهاد باللسان) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، (وَجِهَادٌ بِقَلْبٍ) إنكار المنكر وبغضه وبغض أهله.

وهذا الأثر بمعنى حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه»، رواه مسلم. وحديث حذيفة السابق في القلب الفاسد.

والشاهد منه: التداول، فتارة يكون القلب أبيض، وتارة يسود إذا انحرف صاحبه، عياذاً بالله تعالى!



---

(١) صحيح.

(١٠٣) ٢٧٥- **عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «تَكُونُ أُمُورٌ تَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ؛ فَأُولَئِكَ هُمُ الهَالِكُونَ» يَقُولُهَا ثَلَاثًا[1].

التعليق:

قوله: (تَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ) منها ما يوافق الشرع، ومنها ما يخالفه، (فَمَنْ أَنْكَرَ) المنكر (فَقَدْ بَرِئَ) من الإثم والعقوبة من الله عز وجل.

(وَمَنْ كَرِهَ) بقلبه (فَقَدْ سَلِمَ) من الإثم والعقوبة، وهذا إن عجز عن تغيير المنكر بيده ولسانه، (ولكن) الإثم والعقوبة على (مَنْ رَضِيَ) بقلبه بالمنكر ولو لم يعمله، (وَتَابَعَ) بالقول أو العمل أو كلاهما، فهؤلاء هم الهالكون.



---

(١) صحيح من طرق أخرى، وهو في مسلم نحوه دون قوله: «... الهالكون».

(١٠٤) ٢٨٥- **عن بِلَالِ بْنِ سَعْدٍ** يَقُولُ: «إِذَا خَفِيَتِ الخَطِيئَةُ لَمْ تَضُرَّ إِلَّا عَامِلَهَا، فَإِذَا ظَهَرَتْ فَلَمْ تُغَيَّرْ ضَرَّتِ الْعَامَّةَ»(١).

التعليق:

هذا حق، فإن المعاصي متى كانت سراً فضررها قاصر على عاملها، فإذا جاهر بها وأعلنها انتشر الفساد واستهين بالمحارم، فعم البلاء، وبالتالي تعم العقوبة، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴿١٤﴾﴾ [سورة الشمس:١٣-١٤]، والعاقر واحد، ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾﴾ [سورة الشمس:١٤]، فعاقبهم بهلاكهم وهلاك أوطانهم جميعاً.

وقوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما من قوم يُعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على أن يغيروا، ثم لا يغيروا، إلا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب»، رواه أبو داود (١١/ ٤٨٩) وغيره عن أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.



---

(١) صحيح، ورواه ابن المبارك في «الزهد» (١٣٥٠) وغيره.

(١٠٥) ٢٨٧- عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «كَيْفَ يُقَدِّسُ اللهُ أُمَّةً لَا يُؤْخَذُ مِنْ شَدِيدِهِمْ لِضَعِيفِهِمْ؟»(١).

التعليق:

قوله: (كَيْفَ) استفهام إنكاري، والمعنى: أن ذلك لا يكون، (يُقَدِّسُ) يطهر من الآثام والعقوبة، والمعنى: أنه متى لم يُردع الظالم فإن الأمة قد صارت في خطر معرضة للعقوبة، كما في الحديث السابق.

وهذه الحالة تكون عند غلبة الظلم وضياع العدل والأمن، وهذا التداول، فتارة يقوى العدل وتارة يقوى الظلم.



(١) صحيح بشواهده. (انظر تخريج البدر).

خاتمة

كمل بعون الله وقوته وكرمه وتيسيره، فله الحمد كما هو أهله وفوق ما يصفه الواصفون من خلقه كما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين[١].

التعليق:

كمل انتقاء الصحيح منه وشرحه ولله تعالى الحمد والمنة والثناء الحسن كما يحب ربنا ويرضى، وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

وهذا آخر الشرح، ولله الحمد والمنة.



---

(١) هذه الخاتمة في بعض النسخ.

الفهرس

